من هم الفلسطينيون ؟

بقلم الدكتور معروف الدواليبي

* * *

خلال استماعي في العام الماضي الى اذاعة لندن العربية ، استمعت مرتين ، وفي فترتين الى جواب واحد على سؤال كان قد وجهه بعض السائلين من اجانب وعرب يسألون فيه : من هم الفلسطينيون ؟ ولقد اجابت الاذاعة اللندنية على ذلك السؤال حينذاك ، وعلى لسان المختصين في المرتين ، وفي برنامج « السياسة ما بين السائل والمجيب » فيما اذكر ، وقالت ما خلاصته : « انهم شعب هاجر من مناطق بحر ايجه ومن اليونان بعد ان طردتهم القبائل الاغريقية من تلك المناطق ، وكانوا يعرفون بالفلسطينيين ، فنزلوا سواحل البحر الابيض المتوسط الجنوبي ، ثم اشتق من اسمهم «فلسطين» المعروفة حتى اليوم » .

ولقد استنكرت في نفسي هذا الجواب المبتور ، لانه انما عبر عن فترة ليست الاولى ولا الاخيرة من تاريخ فلسطين والفلسطينيين ، مما قد جعل السامع يعتقد ان الفلسطينيين غرباء عن هذه المنطقة الكنعانية العربية ، وانهم لولا حادث هذه الهجرة لما كانت هناك اليوم اخبار عن تاريخ هذا الشعب الفلسطيني العربي وصلته بهذه الارض الكنعانية العربية قبل حادث هذه الهجرة .

ولقد ذكرت ذلك في حينه لبعض اخواننا من الكتاب الفلسطينيين ، ورجوته ان يكتب الى الاذاعة البريطانية : القسم العربي بالجواب الصحيح الكامل ، وذلك بعد ان زودته بالمعلومات التاريخية في هذا الموضوع ، وبعد ان احلته على المراجع والدراسات الحديثة التي اكملت النقص الذي وقفت عنده الاذاعة البريطانية . ولا شك ان المجيب على هذا الموضوع في الاذاعة البريطانية لم يطلع بعد على هذه البحوث العلمية الجديدة ، كما ان من قد رجوته بالكتابة الى الاذاعة البريطانية لم يستطع الحصول على المراجع التي حددتها له ولفت نظره اليها .

ولذلك رجاني مرارا بعض من سمع مني الحقيقة في هذا الموضوع ، ان اكتب كلمة وافية فيه ، وخاصة في هذه الفترة من الزمن التي شغلت العالم بمشكلة فلسطين والفلسطينيين . وها انا ذا نزولا عند هذه الرغبة الكريمة اكتب هذه الكلمة الموجزة الوافية بالغرض ان شاء الله ، لاسهم ببعض الواجب في هذا الموضوع الذي اصبحت معرفته ضرورة ومن المستلزمات التاريخية للتعريف بالقضية الفلسطينية وبالفلسطينيين ، وذلك بدليل تكرار السؤال عنه الى الاذاعة البريطانية .

وارجو ان اتمكن من نشر سلسلة من الكلمات تحت عنوان : « كلمات من التاريخ العربي الضائع » ، وهي كلمات : الفلسطينيون ، الايتروسك Les Etrusques البونيون Les Puniques المور Les Maurs السارازان Les Sarasins التيرانيون Les Tyrheniens البحر التيراني La Mer Tyrrheniene وتيرانة Tirana وعلاقة هذه الكلمات الاخيرة بجزيرة تيران ومضيق تيران وجبل تيران في الحجاز وشواطئه من جزيرة العرب .

وها انا ذا الان اتابع الكلام حول الكلمة الاولى : « الفلسطينيون » ومن حيث ابتدأت الاذاعة ووقفت لاضيف عليها خلاصة ما جد من بحوث علمية عبرت عن الحقيقة التي لا شك فيها .

ان « الفلسطينيين » – كما ذكر في البحوث التي وقفت عندها الاذاعة البريطانية القسم العربي – هم فرع من هجرة الاقوام « الايجية » او « المينية » بعد ان قضت القبائل الاغريقية الآخية على دولة « مينية » (١) في حدود ١٢٠٠ – ١١٠٠ قبل الميلاد ، فنزلوا في ساحل بلاد كنعان الجنوبية المعروفة اليوم باسم « فلسطين » اشتقاقا من اسمهم . وكان « هيرودوت » المؤرخ اليوناني المعروف بابي التاريخ ، هو اول من استعمل هذا الاسم لاطلاقه على تلك الاراضي الساحلية من بلاد كنعان ، بعد ان نزل فيه « الايجيون الفلسطينيون » واقاموا فيه خمس مدن هي عسقلان ، اشدود ، اكرون ، جات ، غزة كما كنت نقلته في كتابي « المدخل الى التاريخ العام للقانون» الطبعة الثانية (٢) .

ولم تذكر لنا هذه البحوث الاولى شيئا عن هوية هؤلاء الفلسطينيين ، غير ان عودتهم الى هذه المنطقة واستقرارهم فيها دون غيرها ، يدل على انهم انما خرجوا من هذه المنطقة ضمن « الهجرات العربية » القديمة فيما قبل التاريخ التي « امتدت على افريقية الشمالية والبلقان وايطالية واسبانية ، وعرفت باسماء موجات اقوام البحر الابيض المتوسط » كما صرحت به المراجع الاثرية

---

(١) نسبة الى احد ملوك جزيرة « القريطش – كريت اليوم » المسمى « مينوس » – انظر كتابنا المدخل الى التاريخ العام للقانون، الطبعة الثانية ١٩٦٢ ، مطابع دار الفكر بدمشق ، الصفحات « ١٠٨، ١٠٩ ، ٥٢٦ » .

(٢) موسوعة تاريخ العالم ، وليام لانجر ، الجزء الاول ، ترجمة عربية ، الصفحة ٦٣ ، ٦٥ وكذلك كتابي السابق « المدخل الى التاريخ العام للقانون » الصفحة ٥٢٦ – ٥٢٧

الحديثة (٣) . فهم اذن قد عادوا الى مواطنهم الاصلية من بلاد كنعان العربية ، وانهم كنعانيون لا شك فيهم . وهذا ما علقت به على تلك البحوث التي نقلتها اولا كما هي ، مؤملا اضافة تلك التعليقات على الطبعة الثالثة مع جميع ادلتها التي تحمل على الجزم بعروبتهم وباصالتهم في هذه البلاد .

غير انني لم اكد انهي تلك التعليقات الخطية حتى وصل الى يدي كتاب « الايتروسكيون في مغربنا وفي اصولنا الفرنسية » Les Etrusques en Notre Occident et Nos Origines Francaises لمؤلفه البحاثة الاثري الفرنسي هيليردو باراتون Hilaire de Baraton واذا بهذا البحاثة يؤكد في كتابه ما انتهيت اليه ، ويقول اولا ان « الايتروسكيين » هم فرع من الفينيقيين السوريين (الصفحة ٣) ، وان « الفلسطينيين » هو احد اسمائهم (الصفحة ٥) ، وان معنى « الأيتروسك » في اللغة المصرية القديمة هو « بحارة النيل » (الصفحة ٣) ، وان معنى « الفلسطينيين » هو الجنود والمحاربون (الصفحة ٩ — ١٠) .

وزاد هذا الباحث على ذلك فقال عن هؤلاء الفينيقيين السوريين انهم يحملون اسماء كثيرة مختلفة ، وذلك تبعا لمهنهم او لعقائدهم (الصفحة ٧) ، ثم اخذ يعدد هذه الاسماء ومنها « الفلسطينيون » عملا بمهنتهم الحربية (الصفحات ٧ ، ٩ ، ١٠) .

واذا رجعنا الى تاريخ « العمالقة » فاننا نجده يحدد هذه المنطقة وطنا لهم ، ولم يكونوا عمالقة الا لبأسهم ، ويدل عليه ما جاء في القرآن الكريم نقلا عن لسان اليهود حين اراد النبي موسى ان يدخل بهم ارض فلسطين ، « قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها .. انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها » (سورة المائدة ٢٥ — ٢٨) ، وتمردوا على موسى من اجل ذلك اربعين سنة كاملة .

وبذلك يتاكد ما قد وصل اليه البحاثة الفرنسي من ان اسم « الفلسطينيين » هو اسم لفريق من الكنعانيين اتخذوا الحرب والجندية حرفة لهم ، كما يدعم ما قد كنت انتهيت اليه من ان عودة الفلسطينيين من جزر بحر ايجة الى هذا المكان بالذات يؤكد انهم هم « العمالقة » المعروفون في التاريخ في هذا المكان ، وان هذا المكان هو موطنهم الاصلي المخصص جزء منه لتدريب الجنود واقامتهم فيه ؛ ولذلك عادوا اليه ، فهم اذن عرب لا شك فيهم ، وهم كنعانيون فينيقيون سوريون ، وانهم ممن اتخذوا الحرب مهنة لهم وانهم برعوا فيها حتى سموا باسم « العمالقة » من الفينيقيين ، وانهم هم « الجبارون » الذين عناهم القرآن الكريم .

وبناء على كل ذلك نستطيع الان ان نحدد معنى كلمة « الفلسطينيين » وهويتهم اذا اردنا الدقة التاريخية واللغوية ، وان نقول انها تعني « العمالقة » من اصحاب الباس في الحروب ، وان ما توصل اليه الباحث الفرنسي من معنى الكلمة وانها تعني « الجنود والمحاربين » ، فهي لا تعني بالضبط الا « العمالقة » بلغة التاريخ ، والا « الجبارين » بلغة القرآن الكريم ، وانهم ليسوا هجرة طارئة على البلاد من قبل شعوب مجهولة الاصول ، وانما هم بلا شك من ابناء البلاد العرب الاصليين ومن الكنعانيين الفينيقيين السوريين الذين كانوا يتقدمون الهجرات كجنود ومحاربين يحمون الارض التي نزلوا فيها ، ويدافعون عمن خرج معهم لمهمات حيوية وحضارية ، كما كان شان الهجرة الى شبه جزيرة اليونان والبلقان ، وكما نص على ذلك مؤرخ اليونان الملقب بابي التاريخ هيرودوت في الكتاب الخامس من تاريخه حيث قال فيهم : « والان نذكر ان الفينيقيين الذين جاءوا مع قدموس قد ادخلوا معهم الى اليونان صناعات كثيرة متنوعة ، ومنها صناعة الكتابة ، وما زالوا يسمونها « بالفينيقية » انصافا لمن نقلوها اليهم (٥) » ، وكان معظم اليونان يعتقدون ان عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر وفينيقية (٦) ، وكما تعزو قصصهم نشأة الكثير من المدن اليونانية الى رجال من امثال قدموس العربي الكنعاني ، ومنها مدينة طيبة « تيبس Thèbes » اولى المدن التي انشأها لهم الفينيقيون الكنعانيون على مثال المدن العربية المعروفة باسم « طيبة » في كل من مصر وجزيرة العرب ، وكما تقول هذه القصص ان هؤلاء البنائين جاءوا من مصر ، ونقلوا الحضارة المصرية الى بلاد اليونان عن طريق فينيقية وكريت (٧) . ولا ننسى في هذا المقام ان « الايتروسك » وهم بحارة النيل هم أيضا من الفينيقيين ، وانهم هم الذين اكتشفوا جزر البحر الابيض المتوسط ، وخاصة جزيرة « اقريطش » وهي كريت اليوم ، وانه لا تضارب عندئذ بين الاقوال المذكورة في ان حضارة اليونان منقولة من مصر وفينيقية ، وان العنصر الاساسي لحماية هذه الهجرات الى اليونان انما كان عنصر « الفلسطينيين » من العمالقة المحاربين .

معروف الدواليبي

(٣) مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلد السابع سنة ١٩٥٧ ، الصفحة ٤ ، وكذلك كتابنا « المدخل الى التاريخ العام للقانون » الصفحة ١٧٦ الطبعة الثانية .

(٤) طبع باريس عام ١٩٤٦ ، المكتبة الشرقية والاميركية لصاحبها « ميزون نوف » G. P. Maison Neuve, Paris

(٥) انظر كتابنا « المدخل الى التاريخ العام للقانون » . الطبعة الثانية الصفحة ١١٠ — ١١١

(٦ و ٧) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، الجزء الاول من المجلد الثاني ، الصفحة ١٢٩ — ١٢٠ الترجمة العربية طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .



محمد عبد الغني حسن

شخصيات عربية يقدم الاحتفال بذكراها خلال ١٩٧٤

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

يقع في خلال عام ١٩٧٤م الذي نعيش فيه بعض موافقات لذكرى شخصيات واحداث عربية مرت ، ولا يجوزاهمالها او اغفال الاحتفال بها تخليدا لذكرى الراحلين من ناحية ، وحثا للابناء من ناحية اخرى . ولما كان عام ١٣٩٤ الهجري يطابق عام ١٩٧٤ الميلادي ، فنحن قد لجأنا الى التاريخين الهجري والميلادي لاحياء ذكرى هذه المناسبات الطيبة التي نسجلها فيما يلي :

١ ــ فتح القائد العربي قتيبة بن مسلم لغانة وفرغانة وما وراء النهر واطراف الصين سنة ٩٤ هـ . فيحتفل هذا العام بمرور ثلاثة عشر قرنا على هذا الفتح الجليل . ولقد ولد قتيبة سنة ٤٩ هـ ، وكان قائدا داهية فتح بلاد ما وراء النهر كلها ، واستمر واليا عليها ثلاث عشرة سنة . وخرج على سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي ونزع طاعته ، فقتله وكيع بن حسان التميمي . وكان قتيبة عالما بالشعر ، راوية له . وهو من كبار الفاتحين العرب .

٢ ــ الامام البخاري صاحب « صحيح البخاري » . ولد في بخاري سنة ١٩٤ هـ ، فيحتفل هذا العام بمرور ١٢٠٠ سنة على مولده . كان البخاري مغرما بجمع الحديث النبوي : فرحل لسماعه في كثير من المدن والامصار . وهو صاحب كتاب « جامع الصحيح » الذي يعد اول الكتب الستة في الحديث وافضلها على المذهب المختار . وقد شرح « صحيح البخاري » مرارا . وله غير كتاب « جامع الصحيح » كتاب « خلق افعال العباد » المطبوع بالهند . وكتاب « الادب » وهو مخطوط .

٣ ــ الشاعر المصري ابن مكانس . توفي سنة ٧٩٤ هجرية ، فيحتفل بمرور ٦٠٠ سنة على وفاته . ولد عبد الرحمن بن مكانس بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ . واصله من اقباط مصر . تولى نظارة الدولة المصرية ، كما تولى في آخر عمره وزارة دمشق . وعزله السلطان برقوق واستدعاه من الشام فتوفي قبيل وصوله الى مصر . له ديوان شعر اختصره الشاعر المصري عبد الله الادكاوي ، واسماه « بهجة النفوس الاوانس ، بمختصر ديوان ابن مكانس » .

٤ ــ بطرس كرامة الشاعر اللبناني المختص بالامير بشير الشهابي . ولد في حمص سنة ١٧٧٤ م. وترك والده حمص وجاء الى لبنان فاقام فيها بقية عمره . اتصل بالامير بشير فجعله كاتبه لشؤونه الخارجية لانه كان يجيد التركية ثم جعله مديرا لمالية الامارة فنائبا للامير بشير . له كتاب « الدراري السبع » ، وهو جميع للموشحات الاندلسية وغيرها . كما ان له ديوان « سجع الحمامة » . توفي سنة ١٨٥١ . وفي خلال عامنا هذا يحتفل بمرور مائتي عام على مولده .

٥ ــ فرح انطون : صاحب مجلة « الجامعة » . ولد في طرابلس عاصمة لبنان الشمالي سنة ١٨٧٤ م. فيحتفل بمرور مائة عام على مولده . كان رائدا في كل عمل اسهم فيه ، فجدد في الصحافة ، واحتل مكان الصدارة في الفن القصصي والمسرحي ، كما كان حكيما مطلعا على الفلسفة الاسلامية والغربية ، وسياسيا محنكا . وقد استطاع من مجلته « الجامعة » منافسة لمجلتي « المقتطف » و« الهلال » الرائدتين في الصحافة الادبية العربية . ولقد انشأ « الجامعة » في مصر . وظهر منها سبع سنوات ، وامتازت بالابتكار في البحوث ، والحرية في الفكر ، والنظرة الفلسفية .

٦ ــ محمود شكري الالوسي : العالم الاديب المؤرخ العراقي . توفي سنة ١٩٢٤ ، فيحتفل هذا العام بمرور خمسين عاما على وفاته . ولد ببغداد سنة ١٨٥٧ م. واخذ العلم عن ابيه وعمه وغيرهما ، وقرأ كثيرا . وتأثر بما كتبه ابن تيمية القيم ، ومن هنا كانت نزعته الى الاصلاح والتجديد في الاسلام . اشتهر بكتابه « بلوغ الادب » في معرفة احوال العرب » وهو مرجع قيم هام في تاريخ العرب . وله من الكتب : « تاريخ نجد » و « اخبار بغداد » و « الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر » . وله

ترجمة طيبة في المقدمة التي كتبها الاستاذان جمال الدين الالوسي ، وعبد الله الجبوري لكتاب « الدر المنتثر » الذي الفه علاء الدين الالوسي احد اغصان الدوحة الالوسية المباركة .

٧ ـ عبد العزيز الثعالبي : الزعيم الاسلامي التونسي . ولد بتونس سنة ١٨٧٤ ، فيكون مر على مولده مائة عام . وهو احد زعماء الحركة الوطنية في تونس ، واحد الداعين الى الوحدة الاسلامية . اشتهر بجرأته في الراي ودقته في البحث ومقاومته للاحتلال الفرنسي وللأستعمار الاجنبي عامة . أصدر جريدتي « الرشاد » ، و « الارادة » وهب لمساعدة طرابلس اثناء الغزو الايطالي لها سنة ١٩١١ . له من الكتب : « حياة سيدنا محمد » و « روح القرآن » .

٨ ـ عبده بدران : الشاعر ، الكاتب ، الصحافي اللبناني . ولد بقرية وادي شحرور قرب بيروت سنة ١٨٦٧ م . وتوفي سنة ١٩٢٤ ، فيحتفل بمرور خمسين عاما على وفاته . جاء صاحبنا الى مصر يافعا واتصل بقريبيه سليم وبشارة تقلا وعمل معهما في جريدة « الاهرام » مدة ، ثم استقال وانشأ مع صديقيه الشاعرين الشقيقين نجيب الحداد وامين الحداد صحيفة « لسان العرب » اليومية التي عاشت ثلاث سنوات ، ثم استقل بانشاء مجلة « الصباح » الاسبوعية ، وشارك في تحرير جريدة « البصير » المصرية الاسكندرية . وله عدد من الروايات والكتب الادبية ، كما أن له معجما صغيرا اسمه « الهادي » لا يزال مخطوطا .

٩ ـ مصطفى كامل : الزعيم الوطني المصري . ولد سنة ١٨٧٤ م . وتوفي سنة ١٩٠٨ . فيحتفل سنة ١٩٧٤ بمرور مائة عام على مولده . تعلم في مصر بمعهد الحقوق وذهب الى تولوز بفرنسة لاتمام دراسته . وفي فرنسة تنبه ذهنه الى السياسة ، والى وضع مصر من الاحتلال البريطاني ، فعمل على مكافحته . كتب في « الاهرام » ، وفي « المؤيد » . ثم انشا صحيفة « اللواء » فكانت منبرا لآرائه ، ومنطلقا لافكاره . مات سنة ١٩٠٨ معلولا وهو في الرابعة والثلاثين . ورثاه شوقي برائعته النونية التي مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان   قاصيهما في مأتم ، والداني

له مؤلفات منها « دفاع المصري عن بلاده » و « رسائل مصرية فرنسية » وهي الرسائل الخاصة التي بعث بها الى مدام جولييت أدام الكاتبة الفرنسية و « الشمس المشرقة » و « المسألة الشرقية » و « مصر والاحتلال الانجليزي » .

١٠ ـ عفيفة كرم : الاديبة الصحافية الروائية اللبنانية ـ ولدت في بلدة عمشيت بلبنان سنة ١٨٨٣ ، وتوفيت سنة ١٩٢٤ فيحتفل هذا العام بمرور خمسين عاما على وفاتها . هاجرت مع زوجها كرم يوسف كرم الى الولايات المتحدة واقاما في ولاية لويزيانا . وزاولت الكتابة في جريدة « الهدى » العربية ، فكانت من اوليات الصحافيات العربيات . وعالجت كتابة القصص التي منها « فاطمة البدوية » و « غادة عمشيت » و « كليوباترة » و « بديعة وفؤاد » .

١١ ـ مصطفى لطفي المنفلوطي . ولد في منفلوط من صعيد مصر سنة ١٨٧٦ . وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٤ . فيحتفل هذا العام بمرور نصف قرن على وفاته . تعلم المنفلوطي في الازهر . وفي عام ١٩٠٧ بدأ ينشر مقالات اسبوعية في جريدة « المؤيد » لفتت اليها الانظار . اشتهر بطرافة اسلوبه ، واحتفاله به ، كما تناول نظم الشعر . وله من الكتب : « النظرات » وهو مجموعة مقالات ادبية اجتماعية ، و « العبرات » وهي مجموعة قصص بين موضوعة ومترجمة ، و « الادبيات العصرية » وهو مجموعة مقالات جمعها محمد زكي الدين . وترجمت له عدة روايات صاغها هو في اسلوب عربي جذاب منها : « الشاعر » و « في سبيل التاج » و « الفضيلة » و « ماجدولين » و « الانتقام » .

١٢ ـ علي بهجت بك : الاثري المؤرخ . ولد في احدى قرى محافظة بني سويف سنة ١٨٥٩ . وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٤ فيحتفل هذا العام بمرور خمسين عاما على وفاته . درس في المدرسة الناصرية ، والالسن ، وصار يترقى في الوظائف الى ان عين مديرا لدار الاثار العربية . شارك في مهمات ومؤتمرات اثرية تاريخية كثيرة . وكان حجة في علم الاثار العربية وتاريخها ، وكثيرا ما رجع اليه العلماء الاجانب للافادة منه . من مؤلفاته : « الاثار العربية » و « تاريخ جامع السلطان حسن » و « قاموس الامكنة والبقاع » و « تحقيق كتاب قانون ديوان الرسائل » لابن منجب الصيرفي ، و « القول التام في التعليم العام » .

١٣ ـ محمد عاطف بركات باشا . ولد سنة ١٨٧٤ بقرية منية المرشد . ثم سافر الى القاهرة ، واقام في منزل خاله سعد زغلول باشا . وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٢٤ . فيمر الان على وفاته نصف قرن .

تعلم بالازهر ودار العلوم . وسافر في بعثة تعليمية الى انجلترا ، ولما عاد التحق بوظائف الحكومة ، وصار يترقى الى ان اصبح مفتشا للغة العربية ، فناظرا لمدرسة القضاء الشرعي ، فوكيلا لوزارة المعارف .

استقال من عمله الحكومي في بدء ثورة سنة ١٩١٩ ، وانضم الى خاله سعد زغلول في حركة الجهاد الوطني . كان من كبار المربين . وتعد مدرسة القضاء الشرعي احدى ثمار عنايته ، وقد خرجت جيلا من كبار القضاة الشرعيين والباحثين ، من امثال احمد امين ، وامين الخولي وغيرهما . وكان نادر الكتابة والتاليف .

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

حبي مع الناس

الدكتور عبد الرزاق محيي الـــدين

القصيدة التي القاها الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي ، في الحفل التابيني الكبير الذي اقامه في القاهرة مساء يوم ٢٦ - ١٢ - ١٩٧٣ ، مجمع اللغة العربية بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة عميد الادب العربي الدكتور طه حسين.

●

حبي مع الناس احيانا بما شعروا ... لا الراي يبلى ولا ذو الراي يندثر
يابى الفنـاء كتاب انت سورتـه ... تـتلى ، والواحه آراؤك الغـرر
وانت آيـة هذا العصر مبصـرة ... ما تخطىء العين او ما يجحد النظر
يبقيك هذا الذي احييت من ادب ... عفاه من عرفـوا منه ومن نشروا
بما استراحوا له من قائم درجت ... على سيادتـه الاوهام والعصـر
مرجمين رووا عمـن رووا صحفا ... للغيب ما استمطروا وحيا ولا سطروا
مخلقات وامشاجا لو التحمـت ... ببعضها لتصايا الطول والقصـر
حتى انبريت لها بالشك تقتلهـا ... علما فتحيا بهـا مؤودة قـبروا
يـد صنـاع لو امتدت الى يبس ... لاورق العود واحلولى له ثمـر
ولـو مشت لظلام الليل تقبسـه ... تنفس الصبح لم ياذن له سحر
سبحانك الله ، تؤتي النور فاقده ... وتحجب النور عن قوم بهم بصـر

يا ايها العيلم الهدار ما ركـدت ... رياحه او سبحـت امواجه الفزر
اتوا سواحلـك الدنيا فخامرهـم ... ان يركبوا اليم فاجتازوا وما عبروا
مغررين رأو نشـزا فاطمعهـم ... وما دروا انـه مـوج وينحسر
وأن غائـرة في القـاع فاغـرة ... تهوي بهم للالى من قبلهم غمـروا
وان من يركـب الشطآن عاريـة ... غير الـذي هو بالامـواج يـأتـزر

انت ابن عشرين ما تلوى فتنهصر ... وابن الثمانـين ما تطوى فتنكسر
صلب قناتك لم تغمز فان عجمت ... كعوبهـا انماز من غيظ بها شرر
ذودا عن الراي او نشرا لرايتـه ... بالقول يفلج والاقلام تشتجـر
في حين للراي اجنـاد واسلحـة ... وفي الاساليب مهزوم ومنتصـر
وللبيـان على الالبـاب هيمنة ... لم يرج الا لمقـود بهـا ظفـر
وفي القصـائد ابكـار محصنـة ... وللاعاريض فحل شاعر ذكـر
فليت مستجلبات الشعر قد عقمت ... وليت من فرطوا في عقدها عقـروا

يا ثاني اثنين للعليـاء دونهمـا ... تقعي الدهارير مما آدهـا السفر
الف مضت وهي وحمى فيك مثقلة ... حتى ولدت ، فهل الف بهـا آخر

عهدان من عمر الاداب قد نعمـــا ... بالمبصرين هما الاوضـاح والغـرر
وغير ذينك اصـداء وتسليـــة ... يزجيبها الوقت او يحلو بهاالسمر

ويسالونك ما طه ؟ ولو خـبروا ... ما عندهم منه لاستفنوا بما خبروا
والغيث يشربـه الظمآن من قلـل ... وربما سال الانواء مـا المطـر
هـذا الذي انا القيه ، وتسمعـه ... له ، فلا العود من عندي ولا الوتر
والجامعات التي تعلوك شاهقـة ... مما بنـى او على آثـاره عمروا
فالعلـم زاد مشـاع ليس يطعمه ... من اترفـوا ويمناه من افتقـروا
والراي صوت مصون ليس يمنحه ... من زمروا ويقاضى فيه من جاروا
الراي بالراي لا سـوط يهـدده ... ولا زبانيـة تشلى فتـاتمر
والدين محض قناعات متى اخذت ... بالكره آمن من دانوا بمن كفـروا
منجردوا الناسمن رايبانحجروا ... عاشوا الحياة بلا راي بان حجروا

طه تحدث فهذا الحفل محتشـد ... فالان انت بحيث الخبر لا الخبر
الـذي ظن ظنـا او تخيـلـه ... (شيخ المعرة) من صدق الرؤى اثر
ام حكمة الخالق ان نلهى بمفتـرض ... فان شهدنا يقينـا نابنا حصـر
طه تحـدث فهذا الحفل محتشد ... كالعهـد يشخص اكبـارا وينتظر

عايشت جيلك اصفى ما تكون لـه ... نبعا وانساء وردابعضمن صدروا
للجامعين ، ابناء ، اب حليـت ... به الرقاب وان شبوا وان كـبروا
والمجمعين اخوانا ، اخ كرمـت ... به الاواصر واعتزت به الاسـر
تخـال من هيبة في الحفل يحضره ... ان الملائك في وادي طوى حضـروا
لا يرفع الصوت الا ريث يسمعـه ... فان اشاح فمبهـور ومبتـسر
تفظي اللحاظ عـلى علـم بغيبته ... عنها فلم يؤت الا خلسـة نظـر

عاشت على فضلة من زاده زمـر ... وافضلت فاتت من بعـدها زمـر
من ناقدين عـلى منهاجه نهجـوا ... وباحثين على اضوائـه سـفروا
حتى الذين اتوا نهجا يخالفـه ... عاشوا بانهم في خلفه اتجـبروا
نبت عميم تغشـاه من احتطبـوا ... فالهبوا وسقوا خمرا من اعتصروا

مما يهـون من خطب الم بنـــا ... انا على كرة يسعى بها قـــدر
وان مصر على ما عاهدت ووفـت ... تبني الشوامخ ما قلوا ومـا نزروا
يامصر لي بك قبل اليومواحدة(١) ... اسرى بها النجمواستهدىبها القمر
غنت بمطران فاستهوت قصائـده ... بان يعـود لها من وصلـه وطر
سلمتولتذهب الدنيا وهل ذهبت ... دنيا بها مصر والفصحى لهـا وزر

---

١ ـ اشارة الى قصيدته التي القاها في حفلتكريم شاعر القطرين خليل مطران قبيلوفاته.

بغداد

عبد الرزاق محيى الدين

خطاه متزنة .. متئدة ولكنه مع ذلك يشق الزحام بشيء من الارتباك والصعوبة كما لو كان اعمى تقوده بصيرته .. انه غريب في باريس ، تغويه فيها اضواء الحضارة وتهمز نوازعه الهادئة على نحو عجيب .

حار (باسم) وهو يشهد في شارع (ميكيل انج) صورا من الحياة ، تتعاقب بتناقض سافر امام عينيه ، واضطراب السابلة في غدوهم ورواحهم كانهم يسابقون الزمن ، ولا يابهون الا بانفسهم .. خيل اليه انهم في مهرجان يتلاحمون تارة ويتدافعون اخرى ، ثم يتضاحكون دونما مبالاة وحراجة ، بينما في قرارة يبتسم ويردد : (اين انا ؟ كيف جئت .. وما ينبغي ان اصنع. وهذا قدري ..) .

النهار مصبوغ نورا والطقس هادىء .. معطار ، يبلور الاشياء من حواليه ويزيدها معنى . وهو يحث مشيته لعله يدرك المنطقة التي يقصدها ، وعندها يستريح حتى يسترد حيويته .

واستوقفه عجوز بغتة ، يستند الى عصاه ، ليساله الوقت ؟

حدق فيه قليلا على فطرته ، مستشفا اخاديد وجهه التي تشبه التشققات الارضية المتداخلة واجاب :

— الثانية عشرة ..

فالقى عليه العجوز نظرة اشفاق يمازجه استغراب :

— لا بد ان تكون غريبا ، جئت من بلاد اخرى ؟

هز راسه ايجابا وبسمة مصطنعة على فمه .

وحاول العجوز ان يستدرجه غير ان (باسم) مرق بلباقة لا يلوي على شيء لاحساسه بمرور الوقت سراعا وهو يقول :

— شكرا مسيو .. شكرا !!؟

واصل سيره يلتفت يمينا وشمالا بجذل ظاهر وفي داخله يسخط على العجوز ، حيث افسد عليه نشوته بما يدور حوله ويحاول الانسجام معه ..

ثم توقف امام عمارة ..

شرع يعاين بناءها السامق الرائع ، حتى طالعته امراة مترهلة عبث الشيب براسها ، تهرع اليه متسائلة : حدس انها (البوابة) .

— هل من خدمة ؟

— اريد الشقة رقم ٧٢ ؟

فاشارت بادب بالغ :

— تلك هي

— وهل المسيو (جلبرت) موجود ؟

— سافر الى سويسرا كعادته توخيا للجمام ، وقد يعود بعد ايام .

(ومواصلة) :

— عفوك .. هل هناك شيء معين؟

— هذه هدية حملنيها صديق من

صدقة

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

بغداد الى المسيو (جلبرت) . اريد ان تصل اليه .

— اذا شئت اتركها عندي واعتبرها واصلة اليه .

— حسنا .. كذلك ارجو ...

(وبلطف) :

— وهل ذلك يشق عليك ؟

فاجابت شبه محتجة :

— كيف يشق ، وهو داخل ضمن عملي . مكلفة انا به وبغيره .

عاد ادراجه متباطئا ، ينوء به شرود البصر ..

ما كان يرجو ان تنتهي به المسيرة الى هذه الحال ، لكنه بالرغم من ذلك لا ينسى ان ثقلا انزاح عنه ، وانه تحرر من قيد مله .

ثم ارتفعت اصابعه تتخلل شعره الجعد وتنساب نازلة برفق الى الخلف . واذا به يسمر في مكانه مطرقا لا يريم . يثب الى وجهه الدم .. آه .. لم يدر بخلده ان يترك لدى البوابة عنوانه . قال في نفسه : (خطا .. وقلة ذوق ..) .

ومن فرط ما انسحق بلع ريقه .

ثم انطلق على سجيته . لا ضير فقد ادى ما كلف به . حقه الان الاخذ بقسطه من ما يتاح له . وتلوى في اغواره كشرارة : (مواتية فرصتي . ما احلى ان يغتنمها انسان مثلي . لا .. لن يجود بها العمر ولو مرة واحدة ..

— تاكسي ؟؟

وطفقت السيارة تطوف به عبر الشوارع الفساح والميادين العامة ، تنتشر على اطرافها المحال والمكاتب ، وقد غصت باناس من شتى الالوان والجنسيات وهم في هرج ومرج . ويهب هواء رخي من خلال النوافذ ليشحذ نبضات وجدانه ويضاعف اقباله على الحياة .

ما زال كذلك حتى اشرق في خاطره انه قد دس سهوا في طيات انهديه اوراقا نقدية ، ونسي ان يخرجها . ، تقلصت شفتاه ... تساقطت دونه الاطياف يزحم بعضها بعضا . ثم راح يفكر في العودة الى حيث اتى . هكذا حدث ذاته : (ليس في طاقتي ان استغني عنها وانا اعاني غربة مريرة في مدينة يغزوها الصخب والغلاء والتعقد ...) .

★

— الا تحب الخروج معي ، فانا ادعوك الى مسهر ، لنبدد في جوه بعض ما يجثم علينا من سأم وضياع؟ ذلك ما قاله (باسم) ..

— لكنني منهمك بمذاكرة مواد الدراسة استعدادا للامتحان .

— اريد ان نزجي الفراغ معا ،

قصة

ونعب من كوثر باريس قليلا . انت مدعو عندي هذا المساء هيا بنا ؟

ـ الا ترى ما انا بشانه ..

ـ وادعوك ..؟

بتثاقل :

ـ ليكن ما تريد ..

كان (باسم) قد حل عند صاحب قديم له ، جاء الى باريس طلبا للعلم واستاجر شقة في احد احيائها المزدحمة ، وجعل يعيش على الكفاف حتى يتحقق ما يصبو اليه .

بعد منتصف الليل رجعا من السهر وقد زها بهما الانتشاء ،وقبيل ان يؤويا الى الفراش انبرى له (بدري) :

ـ اتحت لي انسا لا انساه ..

ـ سرقنا من الزمان ليلة حلوة ..

ـ وجدتني مشمولا بلطف منك يقتضيني شكرك .

ـ العفو .. اخوان نحن ..

وسرعان ما غير (بدري) الحديث :

ـ ارى ان تذهب من الصباح الى المسيو (جلبرت) لعلك واجده لتستعيد منه اوراقك النقدية ؟

ـ نسيت ان اخبرك بذهابي اليه مرة ثانية ، حيث كان قادما منذ قليل من سويسرا ، بيد انني لم اجده في شقته لخروجه مضطرا لابتياع حاجة ، فتركت لدى البوابة بطاقة سجلت عليها عنواني وذكرت له بانني سازوره في وقت معين ..

ـ هذا افضل .. ؟

★

كان عقربا الساعة يشيران الى الرابعة عصرا حين لمح (باسم) المسيو (جلبرت) واقفا امام شقته ، يستقبله بفرحة محتفيا بقدومه ، ومعربا في الوقت عينه عن اسفه على غيابه وقد جاءه من قبل مرتين .

حملت اليه القهوة ..

بهدوء متميز شرع (باسم) يحتسيها ، تجتذبه روعة الشقة واناملها المفرطة ، واذا بالمسيو (جلبرت) يفجؤه :

ـ لا شك انني سررت بك اليوم .

ـ عقدت سيدي على لقياك املا كبيرا . حسبي ما سمعت عنك .

ـ هذا شعور انسان راق .

(ومتابعا) :

ـ عل اعجبتك باريس ؟

ـ انها ام المدائن وملتقى الوجود الحضاري باهوائه واصدائه .

سنحت الفرصة للمسيو (جلبرت) لان يفضي بما يعنيه بتواضع :

ـ اعدت اليك وعلى عنوانك اوراقك النقدية بداخل مظروف ، وكانت كما تعلم ـ في طيات الهدية . فقد لقيت عناء في حملها والاتيان بها ؟ مشكور انت ..

وحيد الدين بهاء الدين

ـ الشكر لله . وسوف تصل الي النقود .

★

توالت الايام ..

وباسم بات ينتظر وصول النقود عن عن طريق البريد على احر من الجمر .. كذلك يسأل (بدري)كلما قفل راجعا الى الشقة عما اذا كان قد ادرك شيء ام لا ، حتى يفحمه النفي القاطع في مكانه .

ذات مساء بلغ (باسم) الشقة وعليه علامات التعب ، يغلي منه الفكر كالمرجل ، وتختلط دونه الرؤى . ما ان حيا (بدري) حتى عجل :

ـ ماذا هناك ؟ اما وصل المظروف ؟

ـ وصلت رسالة المسيو (جلبرت) اليك . وليس بداخلها اية ورقة نقدية كما تقول !

ـ عجيبة والله . وفي نفسه : (وكيف تفتح الرسالة ؟؟)

شمل (باسم) صمت كأن ماء باردا قد صب عليه . اعقبه انكماش ، جانبا انتحى ثم خطا وتردد حتى تهالك على مقعد واعماقه تختلج بعنف : (ايجوز ان يدا اثيمة عبثت بالنقود واطلقت الرسالة وحدها . عذاب جديد هذا ؟ غير معقول ان المسيو (جلبرت) لم يرسل بالنقود الي كما نوه ؟؟ هل طمع فيها ؟؟ معاذ الله !! لا ينزل الى درك كما ينزل الاخرون . انت من طينة خاصة ، مذكورة اريحيتك وبسطة يدك .)

وفي (بدري) خامره شك قتال .

ـ وهل فتحت الرسالة بنفسك ؟

ـ نعم .. وهي خالية من اثر الاوراق النقدية .

وكررها (باسم) :

ـ عجيبة .. عجيبة ..

ـ اانت واثق من اعادة النقود اليك ؟

(وجهك فضاح . تعال .. يعوزني دليل مادي ! حتى في الغربة يلدغ الانسان وعلى يد صاحب قديم له ، اما دعوته الى السهر ذلك المساء وانفقت عليه .. هنا الطامة ؟)

وبشيء من الانفعال :

ـ ان رجلا في مثل مستوى المسيو (جلبرت) لا يمكن ان يطمع في نقودي .

ـ اذن يجوز ان امتدت اليها يد في الطريق ؟؟

ـ بعيد هذا الاحتمال وضعيف .

وفي قرارته : (انظر كيف يحملني على الظن قسرا وانت .. انت) ..

★

ـ من فضلك متى تقلع الطائرة بالضبط ؟؟

ردت عليه مسؤولة الاستعلامات ، وهي شابة في ذروة الفتنة والفطنة :

الذكر الحسن

هالني ان اسمع الناس يرددون قول الشاعر العباسي ابي فراس الحمداني :

معللتي بالوصل ، والموت دونه   اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

دون ان يعرفوا الحالة النفسية التي كان فيها الشاعر عندما نظم رائيته الخالدة ، فخفت ان يحذوا حذو شاعرنا الكبير المحبوب، ويجعلوا الانانية مذهبا لهم ، فيزيدوا انانيتنا التي نئن منها ـ ضغثا على ابالة، فقلت :

اذا مت ظمآنا ، فلا انحبس القطر   ولا مات انسان صدى، وامحى العمر
ولا جف نبت في البلاد جميعها   ولا عم محل بين آيابه الفقر
ولا عطشت وحش الفلا ، وظباؤها   ولا تاق في روض الى طله زهر
فان كان ماء القلب ينقذ مدنفا   منحت دمي كيما يشد به الازر
لاقضي نحبي بعد ذلك راضيا   بتضحيتي ، والطرف يبسم والثغر
فبدء حياة المرء من بعد موته   اذا طاب في الافواه من فعله الذكر
وقد يصرع الورد المضرج خده   ويبقى لدى الانسام من روحه العطر
ولو لم يجد زهر الربيع على الورى   بانفاسه ، ما بث اطيابه النشر
ولو لم يصر جسم السحائب أدمعا   ليحيي الانام البر ، ما نبت البر
ولو لم يذب اهل القريض عقولهم   لما فتن الدنيا بابداعه الشعر
وحين يضحي اسد قومي بروحهم   سيقبل مختالا على العرب النصر
فما هذه الدنيا سوى الجود عابقا   يهيم به التاريخ ، والمجد ، والدهر

محمد العدناني

ـ بعد نصف ساعة من الان .

وبتحفظ حين احست بعينيه تومضان تطلعا :

ـ هل يمكن ان يكون هناك سؤال اخر ؟

فاغرقها في نظرات وادعة وقال :

ـ اود ان اعرف اذا كانت الطائرة تهبط في طريقها الى بغداد ؟

ـ تتزود بالوقود في مطار بيروت ثم تعاود الطيران .

حياها شاكرا وهو ينسحب الى الخلف بهدوء وخفة ..

انتهت مهمة (باسم) بباريس ولم يعد له فيها الا دقائق ثم يغادرها . كان مغتبطا في رحلته ، يحتفظ لها ذكريات عزيزة .. وما نغص عليه شيء الا غياب نقوده الورقية ، وكان بها يستطيع قضاء حاجات اخرى .

وفاجأه (بدري) بصوته وهو يسلم عليه ببشاشة ويصافحه قائلا :

ـ مصحوب بالسلامة .

ـ اشكرك .. كلفت نفسك بالحضور . وفي داخله : (وهذا من اعجب العجائب ...) .

واستدار (باسم) يمنة فاتجه الى غرفة الانتظار وبيده حقيبة سوداء ، بينما نظراته مصوبة الى هذا وذاك بعفوية ..

قال (بدري) :

ـ اخبارك السارة تهمني دائما .

واعلن مذيع المطار بان على المسافرين على متن الطائرة الفرنسية الذاهبة الى بغداد الانتباه والحضور .

فاثارت (باسم) دفائنه :

ـ ما ازعجني الا امر هذه النقود ؟

اقترب (بدري) منه بابطاء ، فعانقه طويلا بينا عيناه الغامضتان مسددتان في عينيه ، وراح يغمر وجنتيه بقبلات وهو يقول بصوت خفيض :

ـ اعتبرها صدقة .. صدقة .

بهت (باسم) لما صك سمعيه ، وبلهجة طافحة رثاء :

ـ لتكن صدقة .. لتكن هكذا .

★

تراءى له العجوز في شارع (ميكيل انج) يستدرجه ، والطائرة النفاثة ترتفع به مخترقة اطباق السماء بأزيزها الصاخب .

بغداد   وحيد الدين بهاء الدين

الشيخ ابراهيم المنذر

بقلم عجاج نويهض

* * *

لا يمكنني ان اشرع الباب توا على سري سرايا العرب ، الشيخ ابراهيم المنذر ، ابي صلاح ، العربي من غسان ، وجدوده في حوران ، وحوران من مسارح الغساسنة الى الفتح العربي ، ثم في لبنان شرقيه وغربيه بعد ذلك حتى اليوم ، والى ما شاء الله ، قبل ان اوجز الكلام على الآفاق العربية في لبنان وخارجه ، وفي هذه الآفاق سبح وطار الشيخ ابراهيم « سلام على ابراهيم » ، في فردوس النعيم .

١ – كانت المدة التي انقضت بين اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ وشبوب الحرب العالمية الاولى ، وهي ست سنوات ، زاخرة بالنشاط السياسي الادبي الفكري الذهني في المملكة العثمانية . اما الاقطار العربية الآسيوية ، فمع انها كانت تابعة في الحكم والسيادة العامة والادارة ، للآستانة غير انها في الحركة الذهنية الادبية او حركة انبعاث التراث العربي ، كانت متناوحة الرياح مع مصر . فالذين ولدوا في الربع الاخير من القرن الماضي ، والمنذر ولد ١٨٧٥ كانوا في الميادين والساحات في خلال هذه المدة من الست سنوات .

٢ – ووقفت جميع التيارات السياسية والفكرية في اثناء الحرب من ١٩١٤ – اواخر ١٩١٨ .

٣ – وبعد ان وضعت الحرب اوزارها ، مورثة في معاهدة فرساي الدمامل الخبيثة المولدة ، لاسباب الحرب العالمية الثانية بعد ٢١ سنة (١٩٣٩) ومورثة الامة العربية خاصة السرطان الصهيوني عن طريق فلسطين ، بدأ دور التفاعل العجيب في آفاق الامة العربية ، ورغم الاحتلالات الاجنبية ، البريطاني في مصر ، مستمرا من سنة ١٨٨٢ ، وفي السودان والعراق وفلسطين والاردن ، واطراف جزيرة العرب ، وشرق افريقيا ، والفرنسي في سوريا ولبنان ، وامتدت هذه الفترة ٢٠ سنة الى بداية الحرب الثانية (١٩٣٩) فان اليقظة العربية الروحية راحت تسير الى نمو واتساع ، مع ترداد الاسماء القطرية والاقليمية ، وصارت التيارات تتلاقى ، ويعانق بعضها بعضا ، على ايدي الصحف والمجلات ، والزيارات والسياحات ، والاعياد والمواسم ، والمؤتمرات والمهرجانات ، وحفلات تكريم العظماء من رجال السياسة والادب والعلم واهل الفن ، ومن عنصر التقارب الروحي الثقافي بعد الحرب الاولى الاغاني والموسيقى والمسرح والرواية التمثيلية في مصر . ومنذ بداية العقد الثالث والرابع من هذا القرن اطلت الاذاعات اللاسلكية ثم التلفزيون . ولكن علينا الا ننسى ان فترة ما بين الحربين اتسمت في الوقت نفسه بحركات الانتفاض والثورة على المستعمر المحتل وعلى الصهيونية وبريطانية الكافلة لها والرادة عنها بالسلاح مدة ٣٠ سنة .

٤ – والى غاية الثلث الاول من هذا القرن ، كان حملة الوية الادب والشعر والصرخة العربية المنبعثة من جذور التراث ، هم على الغالب الرجالات الذين كانوا يصولون ويجولون من بعد اعلان الدستور العثماني منذ ١٩٠٨ فبعد الحرب الاولى استأنفوا رسالاتهم الى الامة العربية . وفي التمييز بين قمة وقمة ، ودور ودور ، ورعيل ورعيل الفيا لا عموديا في بلاد العروبة ، اعتادت الاقلام ان تصف عنصر « شوقي وحافظ والمطران » بالثالوث الذروة . فانتهى شوقي وحافظ في آخر الثلث الاول من هذا القرن ، ولكن دولة الشعر العربي منحها الله تعالى بركة الامتداد بعمر المطران الى منتصف القرن تقريبا . نوجز هذا الوصف ، مع الاجلال لدولة الشعر بعد هذا « الثالوث » حتى اليوم ، وبكل احترام نحيي العباقرة الاخرين المعاصرين للثالوث ، والعباقرة الذين جعلت العناية العليا تمن بهم على الامة على غير انقطاع في عمل الطبيعة الحكيمة ، حتى اليوم .

٥ – وان كنا في فلسطين ، صانها الله وحرسها وردها الى اهلها العرب ، والانتداب البريطاني المسلح من فوق الرؤوس ، وفي عراك مع الانكليز والصهيونية ، لم تكن على شيء يذكر من الصلات الاخوية الحية ، مع اخواننا وقرة عيوننا اهل الاقطار المغربية ، او الشمال الافريقي ، كما كان التعبير وقتئذ ، واغلب السبب ، العجائب والغرائب في طبيعة الاستعمار الفرنسي في البلاد الاسلامية العربية ، فاذا مر بفلسطين حاج في طريقه الى بيت الله الحرام ، او عرج على فلسطين عائدا من الحج والزيارة ، تلقيناه بالحفاوة البالغة ورددنا :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

المشرق العربي رئة للمغرب العربي ، والمغرب العربي رئة للمشرق العربي .

٦ – الا صلات تسج خيوطها لحمة وسدى ، وجعلها عروة وثقى بين المغارب والمشارق ، الزعيم الفيلسوف الرحالة المستقي من ابن خلدون ، عبد العزيز الثعالبي التونسي ، فانه خرج من تونس بعيد الحرب الاولى وراح يطوف في العالم العربي المشرقي والعالم الاسلامي ، وللثعالبي رحمه الله ، خبر طويل لا محل له هنا ، وما عدا صلات الثعالبي هذه وبعثات التعليم من مصر الى كثير من البلاد ، لم تكن هناك الا صلات جزئية لا حساب لها في التيارات ، بين مشرقنا ومغربنا .

٧ – ومن يشاء ان يدون تاريخ هذا الانبعاث التراثي ، اي تدوين ، من اوائل هذا القرن الى منتصفه ، او الى حادث فلسطين الاكبر ١٩٤٨ عليه عند ذكر الرجالات المسكين باعناق التيارات ، ان يردهم الى اقطارهم بحكم الضرورة . الم تر عبد الرحمن الكواكبي في « سجل جمعية ام القرى » عرف باعضاء مؤتمره الخيالي في مكة المكرمة سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م تعريفا اقتصر على النعت وعلى النسبة الى المدينة او الاقليم ؟ فهو نفسه « السيد الفراتي » ثم تتوالى هذه التعريفات لثلاثة وعشرين فاضلا من فضلاء العالم الاسلامي ، « كالفاضل الشامي » ، و « البليغ القدسي » و « العلامة المصري » ، و « المحدث اليمني » ، و « العالم النجدي » ، و « المحقق المدني » ، و « الحكيم التونسي » ، و « المرشد الفاسي » ، الى « الفقيه الافغاني » ، و « الصاحب الهندي » حتى تمام العدد ، ولم ينس الكواكبي ، طيب الله ثراه ، ان الصين قادمة في الطريق ، وهذا قبل اليوم بست وسبعين سنة ، فقال و « الامام الصيني » (١) .

٨ – « الشيخ ابراهيم المنذر » ، وآل المنذر فرع من « آل المعلوف » ، الشجرة العربية الوارفة الظلال في الشام ولبنان والمهاجر ، وتكاد تكون امة بنفسها لما منحها الله من الرجالات في مختلف الميادين ادبا وتراثا ، ودينا ودنيا ، ومنتمى المعلوف الى الغساسنة – الشيخ ابراهيم هو من هؤلاء الرجالات المسكين باعناق التيارات التراثية ، الرواد ، الماهدين ، في آفاق الامة العربية حتى غاية منتصف هذا القرن ، واسمح لنفسي ان اتخيل اني لو كنت ممن املى عليهم

---

(١) ذكر السيد المصلح محمد رشيد رضا ، صاحب « المنار » الاسلامي (عاش المنار من ١٨٩٨ – ١٩٣٥) وهو ضنى الكواكبي في مصر ، ان الكواكبي جاء مصر مهاجرا ومعه مخطوطة « سجل جمعية ام القرى » فطبعه غداة حلوله في مصر . قال السيد رشيد « ... وكان يقول ان لهذه الجمعية اصلا وانه توسع في السجل ونقحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين (١٩٠٠) » .

الكواكبي وهو يضع « السجل » ، لسمعته يقول : « والمنذر الصارخ اللبناني » . نعم ذكر الكواكبي « الاديب البيروتي » ولكن هذا اعتذر فلم يحضر .

٩ ـ الشيخ ابراهيم المنذر ركب السرج ، وصال وجال اكثر من خمسين سنة ، في هذه الميادين ، شاقا الترع والينابيع بين لبنان واشقائه ، وما افسح آفاق العروبة الحية ، فان الشمس لم تغب ولن تغيب عن اجوائها . وتيارات المنذر شملت :

١ ـ التربية الوطنية ، والتربية هذه هو يعشقها منذ النشأة ، فلما اعلن الدستور العثماني ، كان كالطير في قفص لبنان ، فانطلق انطلاقة النسور الى الاجواء الحرة ، وسنة ١٩١٠ انشأ « مدرسة البستان » .

٢ ـ لما خلقه الله هيأه للمنابر والمحابر والدفاتر ، وحمله رسالة بناء مستقبل لبنان على الحاضر ، فتدفق له غدا البشائر ، وجعل الله المنذر بصوت اذاعي منبري حسده عليه كل طائر ، حتى اصبح في فنه الخطابي كالمثل السائر . آلة الخطابة فيه فطرية لا صناعية . كان اسلوبه الخطابي يملأ النفس ارتياحا واول ما يحرك في السامع العاقل عقله ثم قلبه .

٣ ـ تقديس العربية لشرفها وكونها ام اللغات ، وكلها محاسن ترصعت بها الحضارة قرونا ، وبهذه المحاسن والمزايا فاقت لغات الدنيا ، وهي اليوم تستانف علوها وتساميها . اليس المنذر هو القائل تحت عنوان « ام اللغات » ابياتا رائعة ، منها :

يا فتى لبنان غص فيها على … درر من ادب يغنيك جم
هي نور العلم والعرفان وال … فن والوحي السماوي «الهرامي»

٤ ـ الشعر كان عنده ترجمان « روحانياته الفنية » والقيم الانسانية ، والطراز العالي من المروءات ، ونفثات رثائه لصحبه الراحلين ، وهم ، كما رأيت في الديوان ٢٣ راحلا وراحلة .

٥ ـ فالمنذر من الغبن ان نقف في الميزان عند حدود شخصيته الشاعرية ولا ابعد . عند ذكره في تاريخ الفكر الحر في لبنان ، هو عن جدارة فزيرة له موكب يسلك في باب المصلحين السياسيين الاجتماعيين . ورايته الكبرى هي هنا ، في هذا المجال قبل اي ميدان آخر .

ديوانه : صدر في ايلول الماضي ، بحلة لا ينقصها الترف في الاخراج الانيق والثوب القشيب ، وهو الجزء الاول ، والوسمة : « شعر للشيخ ابراهيم المنذر » منشورات مكتب الدراسات العلمية والرسوم التي في الديوان ، لجمال معلوف . والديوان في اول صفحة منه ، ستة ابيات ، تؤلف باقة عبقة العطر ، وهي بخط المنذر ، الخط الانيق الواضح ، وتعتبر على ما نرى اجمل ذكرى من آثاره ، والبيت الاول :

اي بني لبنان ، لبنان بكم … يبلغ المجد ويعلو الشهبا

ومقابل هذه الابيات في الصفحة الاخرى ، رسم المنذر الشيخ ابي صلاح ابراهيم ، وفيه يتجلى الوجه الكريم بقسماته التي اذ يقع نظرك عليها ، تشعر بالرابطة الروحية بينك وبين ناسوتها الداخلي ، وكأن قلبك من قلبه ، وهذا في نظري اعلى مرامي التأثير الانساني من الغالب في نفس الناظر الحاضر ، وتكاد تعتقد ان للرسم والريشة والكاميرا « روحا » تمشي في ظلال الروح التي خلقها الله . ويظهر ان هذا الرسم الملون ، مأخوذ عن صورة زيتية . فمرحى للرسام الذي استطاع ان يجعل الخلق ظاهر الهالة في قسمات الوجه .

ولما كانت العادة ، منذ جاءت الصور الحديثة الى الوجود ، ان يكتب الشاعر بيتا او بيتين من الشعر تحت رسمه ، فقد نرز التفنن في المعاني التي يختارها الشعراء في هذا الباب . وهذا ما اختاره المنذر :

ما الرسم الا رمز صاحبه … من بعده ، وكلاهما وهم
حتى اذا مر الزمان فلا … جسم يدوم له ولا رسم

ونحن نعجب بهذا المعنى ، وهو قطعة من فلسفة ، ويدخل في قيم التواضع من جهة ، وتقرير اننا كلنا « رسم ووهم » من جهة اخرى الا اني اخالف استاذنا المنذر في ما ذهب اليه من معنى ، فاذا جاوزنا حد التواضع ، جابهتنا الحقيقة الساطعة ، وهي ان الشيخ ابراهيم المنذر دخل تاريخ لبنان من بابه العالي وانتهى الامر . وامسى التاريخ يسير من ورائه في اثره ليضعه بين دفتيه . الجسم فان ، وكذلك الرسم ، واما روح المنذر فباقية بقاء الشمس .

ثم « المقدمة » في اقل من صفحتين ونصف الصفحة ، بكلام على حروفه الحركات الكاملة ، لاستاذ الكلمة العربية المضمخة بالبيان والطيب والانس والاشراق ، امين نخله (اضفى الله عليه ثوب العافية وحفظه نموذج الفضل للعرب والعربية) اوجز فيها ، باسلوب غض الفطرة ، كله شذا وندى ، من هو الشيخ ابراهيم المنذر ، في بارز مواهبه وعطايا الله له . وبكل يسر نقول ، ان للمنذر الان صورتين : الصورة التي ذكرناها ، وهو ظاهر فيها في تقاسيم وجهه المانوس ، وصورة الكلم البالغة حدود الجمال والكمال ، للاستاذ امين نخله ، وفي هذه الصورة الاخيرة تشع العناصر المنذرية كالراديوم فمن شاء بعد اليوم من ابناء جيلنا هذا وابناء الاجيال القادمة ، ان يرى المنذر في اي وقت شاء فليقرأ مقدمة الديوان للاستاذ امين نخله ، سائق البيان والابداع قافلة واحدة .

ثم « السيرة » ـ سيرة المنذر ـ في ٧ صفحات ، وحروفها محركة كحروف المقدمة ، جمعت حقائق المنذر كلها . وكأنها خرجت من ميزان عياره ذهب . واذا كانت المقدمة اعطتنا المنذر في مواهبه ونوع رسالته ، « فالسيرة » تعطينا حقائقه في جميع ادوار حياته ، وهي مسبوكة في قالب لا يقبل الزيادة ولا النقصان في كلمة او حرف ، الا لمن يبتغي الدراسات المفصلة الواسعة فذلك مطلب آخر . واعطيك الان فقرتين صغيرتين كبيرتين من السيرة :

الاولى : « ولد ابراهيم المنذر في « المحيدثة » (٢) في ٧ حزيران ١٨٧٥ » .

والثانية : « توفي عن خمسة وسبعين عاما بتاريخ ٢٧ آب ١٩٥٠ » .

الديوان يشتمل على نحو من ١١٥ قطعة من الشعر ، بين قصيدة من عشرة ابيات فاقل ، وهذه يبلغ عددها ٣٧ قطعة منوعة الاغراض ، ومتوسطة ، وهي معظم الباقي ، وطويلة وهذا الاقل . والقصائد الطويلة هي في وصف حوادث خيالية تتعلق بالخلال الطيبة والمروآت والحوادث التاريخية ، وكان المنذر مبدعا في هذا الباب اي ابداع .

وهنالك الرثاء ، رثاء المنذر في اغلب الحالات لصحبه الذين كان معهم على عهد وسبقوه الى الآجلة ، واكثرهم من اترابه ومعاصريه ، وهم ٢٢ راحلا وراحلة ، والراحلة ، من المحيدثة . ومجموع ابيات الديوان تزيد قليلا على ١٧٠٠ بيت .

ولنا ملاحظة على شعر الرثاء عند مقدمي شعرائنا اهل السراوة وحفظ العهد ، وفي طليعتهم شيخنا واستاذنا ابراهيم المنذر ، طيب الله ثراه ، وجعل رياض الجنان مأواه ، فنقول انه اذا كان الرثاء من الشاعر الرائي لمن تربطه به آصرة الاخوة ، او المودة المتمكنة ، فتجاورت القلوب ، وتساقت النفوس كؤوس المحبة الصافية ، فهذا هو الرثاء النابع من قلب معتصر ، لوعة على حبيب امسى في الحفر . فالرثاء وفاء واداء واجب والا لماتت المروآت الانسانية وامست

---

(٢) اسم سرياني او آرامي كاكثر اسماء القرى والعساكر والمزارع في لبنان ، ويقول الدكتور انيس فريحة صاحب « اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » ان معنى هذا الاسم « المجددون » او « المحدثون » وشخصية المنذر رحمه الله اعطت بلدته ثوبا جديدا حديثا ويا ليت كل قرية في لبنان هي المحيدثة .

الصداقات ضربا من الرياء . وانما نقول هذا لنخرج من معناه النبيل الشريف ، ذلك النوع الاخر من الرثاء المشترى او المستاجر . واشعار المنذر في الرثاء هي النوع الاول ، ومن مثل المنذر في الوفاء ؟ ولا بأس ان نذكر هنا اسماء الذين رثاهم من الصحب والخلان وارباب الخلال الكريمة من الرجال :

ابراهيم اليازجي ١٩٠٦
سليمان البستاني ١٩٢٥
فوزي المعلوف ١٩٣٧ (٣)
عباس جميه ١٩٢٠
الدكتور محمد علي رضا
سلوى الخوري (٤)
الاديب يوسف اسعد ١٩٤١
الشاعر الدكتور اديب مظهر ١٩٢٨
القاضي محمد ابو عز الدين ١٩١٧
النائب نعوم اللبكي ١٩٢٤
حبيب السعد ١٩٤٢
الاديب جان معلوف ١٩٤٤
الامير فؤاد ارسلان ١٩٣٠
فرح انطون (٥)
شبل دموس ١٩٣٩
الشيخ سمعان كرم ١٩٣٤
الشيخ احمد عباس الازهري ١٩٢٧
الدكتور اسعد عليش ١٩٣٢
مناجاة روح ولي الدين يكن ١٩٢٢
ميخاليل مجدلاني ١٩٢٧
الشاعر القاضي احمد تقي الدين ١٩٣٥
حنا خير الله

آخر بيت في رثاء العلامة سليمان ابي عز الدين :

تراه من السم يمشي الى امل   والعمر تطويه الام وآمال

آخر بيت في رثاء الامير فؤاد ارسلان وقد ناهضته الحكومة في الانتخابات النيابية وبعد قليل توفاه الله .

ما في بلادك حر يستجار به   فاذهب لمل بدار الخلد احرارا

وفي ابياته الشعرية في حفلة تكريم البطريرك الحويك تقديرا لمساعيه في سبيل استقلال لبنان :

ابقى العهود التي في القلب قد طبعت   وكم تضيع عهود في الدواوين

ابيات مختارة من شعر المنذر في مواقف مختلفة (ص٤٧) :

له قصيدة في الروح الوطنية (ص ٤٧) عنوانها « مطامع » منها :

ليس القريب وان طال الزمان به   ما بيننا بصديق يدفع العارا
ما جاء يلقي سلاما في البلاد ولم   يسل الا لنيل الربح بتارا
يبدو لنا محسنا لكن تراه اذا   ادى لنا درهما يبتز دينارا

وقال في وداع عام ١٩٢٠ ص ٥٣ اربعة ابيات آخرها :

قالوا استقل بنا لبنان قلت لهم   بالوهم ادركتم استقلال لبنان

ومن رثائه لسليمان البستاني معرب الالياذة ، ويصوره يوصي وهو على فراش الموت :

وصونوا لسان العرب من كل عجمة   تصونوا بلاد الشرق من صدمة الغرب
وان اغمضت عيناي في الغرب فادفنوا   رفاتي في لبنان في تربه الرطب

وفي حفلة مجلة « المعارف » في الشويفات (١٩٢٠) القى المنذر تحت عنوان « الشيخ والفتاة » قصة خيالية حوارها يلقي الى الاخوة والتسامح والتعاون الوطني بين طوائف لبنان ، منها :

هذا يؤيد قوله بمحمد   ويلوذ ذلك بالمسيح الفادي
وكلا محمد والمسيح تبرآ   من وصمة الاحزاب والاحقاد

والقى في حفلة افتتاح لمدرسة وفيتم سنة ١٩٢٢ ابياتا خاطب بها الاغنياء الفانين ، حاثا اهم على البذل في سبيل العلم ومما قال بلهجة واعية :

انا حر ، هلي البلاد بلادي   ارتجي عزها لاحيا واغنم

وجاء فيها :

انما مفخري بما كنت فيه   وصغار الحمى حوالي تزحم

وفي حاشية الصفحة (٩٦) انه يشير بهذا البيت الى « مدرسة البستان » التي ارغمته الحرب على اقفالها ، ١٩١٤ ونقول حول هذا البيت الخصاب العالي الاعتاب ، ان رسالة المنذر قامت على التعليم والتهذيب والتنشئة والتربية ، والكتاب والكلمة ، وتلقيح العقول وايقاظ النفوس ، وتحريك الاذهان ، وثمرة هذا كله جيل صالح ، يبني للخير ، فتكون امة لبنان امة صالحة متضامنة .

وفي ابيات « الى امي » (ص ١١١) راح يناجي روحها الطاهرة ، ويطوف بذكراها ، وبركات آثارها الموفقة ، مما غرسته فيه بالتربية :

ربيتني طفلا يدب ويافعا   يسعى وكهلا يسعف الاخوانا
ومربيا يضع الدروس نقية   ويهذب الفتيات والفتيانا
وسكبت في قلبي المروءة والوفا   فيحب ارباب الوفا الفانى
وجعلتني بالغاليات اجود في   ساح الجهاد واعشق الاوطانا

فادى المنذر الوفي الامانة من امه الى امته .

وسمى « جاحظ لبنان » ، بلا نزاع « مارون عبود » ابنه « محمدا » ضاربا المثل في هدم جدار الفروق بين الاسماء الطائفية تمهيدا لما هو خير باذن الله . واجل الناس « جاحظنا » من اجل هذه الخطوة ، فوق كل اجلال للفضل في التربية الوطنية وقد سار بها على طابع واحد . فكتب اليه المنذر خمسة ابيات منها :

ابا محمد ، والايام شاهدة   ان الذي قد فعلت اليوم مشكور
خطوت خطوة مقدام لعل فتى   يلف لفك والاقدام مأثور
اعمى التعصب اهل الشرق حيث غدوا   يخشون الاسم وما للاسم تأثير

والآن انقل من صفحات « السيرة » هذه اللمع من حياة الشيخ ابراهيم المنذر :

١ ـ آل الشيخ ابراهيم في قرية « المحيدثة » ، لبنان ، منذ منتصف القرن السادس عشر ، على عهد الامير منصور العساف . وكان المناذرة عمدة الحزب اليماني . وقد نصب الامير احمد المعني ، آخر امراء المعن ، كمالا ابن المنذر ، شيخا ولاه شؤون المتن ، وكمال هذا هو الجد الخامس لشيخنا المصلح ابراهيم المنذر ابي صلاح .

٢ ـ تخرج من المدارس سنة ١٨٩٠ ودرس الرياضيات والحقوق على العلماء ظاهر خير الله ، وسليم باز ، وجرجس صفا . وهؤلاء من فحول العلماء والفقهاء .

٣ ـ اقبل على التعليم ، والتعليم رسالته كما راينا ، وهو في العشرين من عمره ، بادئا في مدرسة النبي الياس في « شويا » ، ثم في « مدرسة الشوير الوطنية » والمدرستان قرب المحيدثة ، ثم في مدارس بيروت المتعددة وكلها معاهد ذات شان ، واخص ما يدرس العربية وادابها وما اليها .

٤ ـ في سنة ١٩٠٨ (سنة اعلان الدستور) كانت له مواقف عظيمة ، فبرزت شخصيته الوطنية الفعالة ، بروزا واسعا ، واذ امتنع متصرف لبنان ، يوسف فرنكو ، عن اعلان الدستور في لبنان بعد اعلانه في الاستانة نشات عقدة رديئة في مسلك المتصرف المتعنت . فاتفق ابراهيم المنذر ونعوم اللبكي ومنصور النجار (٦) ، على انقاذ لبنان ، وذلك باغتيال

---

(٣) يوم ازاحة الستار عن تمثاله في زحلة ، والكلام موجه الى والد فوزي شيخ المؤرخين الحجة عيسى اسكندر المعلوف ، عليهم جميعا رحمات الرحمان .

(٤) من بلدة الشاعر . (٥) يوم تمثيل روايته « ابن الشعب » .

(٦) والد السفير الاستاذ عبدالله النجار .

يوسف فرنكو ، واقسموا على ذلك (ص١٢)، ودبروا امرهم مع فوضوي نمساوي اسمه استيفاني ، فرمى بالقنبلة ولكن مرماها جاوز المتصرف فنجا . وهذا حادث له خطورته ، لا ريب في ذلك ، في تاريخ لبنان ١٩٠٨ وعقدة المتصرفهذه بامتناعه عن اعلان الدستور في لبنان ، امتدت الى جوانب اخرى . وقد كان للامير شكيب ارسلان دور حاسم في حمل المتصرف على اعلان الدستور ، ودور الامير شكيب وقد اشترك فيه معه رهط من الرفاق المتواثقين على العمل ، دونه مفصلا في مذكراته وسيرته . وانت ترى ان الاقدام على اغتيال المتصرف لشراء الحرية ، حادث خطير بنفسه ، ولا عبرة ان القنبلة جاوزت يوسف فرنكو ولم يصب .

وقال المنذر تحت عنوان « اتركوا الماضي » سنة ١٩٢٤ يخاطب بني وطنه :

يا بني لبنان ما في الارض من   امة للدهر تبقى خانعة
انظروا الغرب على الشرق سطا   هكذا تسطو البلاد الطامعة

ومنها :

اتركوا الماضي ففي تذكاره   حرق في كل صدر هاجعه

ومنها :

ولتعزز لغة العرب التي   تورث الشعب الحقوق الناصعه
اجعلوها لغة رسمية   في الحمى متبوعة لا تابعه

وناجى روح ولي الدين يكن سنة ١٩٢٢ وجعل يستجويه عما وراء القبر والموت والبعث والنشور والحساب مناجاة شجية فيها من مذهب ابي العلاء المعري شيء ما .

ولما كانت العربية عنده فوق كل شيء ، فقد خاطبها تحت عنوان « ام اللغات » ، منها :

لعينيك يا اخت الكواكب في السما   فدى كل من صلى وصام وسلما
لعينيك ابناء العروبة اينما   اقاموا وما كانوا على الضيم نوما

وقال ايضا تحت عنوان « لغتي » :

من وعى آدابها الغر غدا   قابس الحكمة كالبحر الخضم
والذي يهجرها يغدو كمن   سار في ليل الشقاء المدلهم
يا فتى لبنان غص فيها على   درر من أدب يغنيك جم

والبيت الاخير وقد تقدم :

هي نور العلم والعرفان والفن   والوحي السماوي « هي امي »

في سنة ١٩٠٩ عين المنذر رئيسا لدائرة النيابة العامة في جبل لبنان. وفي هذه السنة تم خلع عبدالحميد . وكانت سنتا ١٩٠٩ و١٩٢٠ حافلتين بنشاط عربي كاسح في لبنان ، واشتدت روح اليقظة والتطلع نحو المستقبل ، رغم ظهور « جمعية الاتحاد والترقي » العثمانية بمخطط « الجامعة الطورانية ». واقبل اللبنانيون اقبالا عجيبا على المدارس ، فوسعوا القديمة ، وانشاوا الجديدة . ولم ير لبنان عهد نشاة وحياة، ووثبة وتهيؤ ، مثل هذا كله منذ انقضاء الامارة المعنية . ولما كان المنذر صاحب رسالة في التربيةوالايقاظ والاصلاح كما قلنا ، فانه في هذه السنة ١٩١٠ انشا « مدرسة البستان » في الحيدلة ، على حسابه ، ليحقق مخططه ، ولم يكن رجال الاصلاح في الامم ، في اي عصر ومصر ، في الغابر والحاضر من الزمن ، يبتغون اصلاحا في جانب من المجتمع البشري بغير التهذيب وترقية الاذهان ، ولم يكن المربي المنذر الحكيم بشاذ عن هذا الخط والمخطط ، واللبنانيون في المستقبل ، كلما درسوا حقائق البناة من رجالاتهم العاملين ، أدركوا قيمة المنذر وانه كان صاحب رسالة .

جاءت الحرب العامة الاولى فجمدت التيارات جمعاء في الاقطار العربية . وحل طغيان السفاح احمد جمال باشا بالبلاد ، وسلطته العسكرية ، وهو قائد الجيش الرابع ، تمتد من شمالي حلب الى اليمن. فاقفلت « مدرسة البستان » كما اقفلت مدارس غيرها . وتخبرنا « السيرة » في صفحاتها القليلة المحشوة بحقائق الرجل الكبير ، ان كان للمنذر صلة بجمعية الاصلاح العربية التي مع تعاونها مع هيآت عربية سياسية في مصر وسوريا والعراق والمهجر ، ادت الى عقد المؤتمر العربي الاول في باريز سنة ١٩١٣ . وهذا خبر طويل لا نستطيع تناوله هنا ، الا بقولنا ان المنذر تعرض للمحاكمة في المجلس الحربي في عاليه ، ولكن انقذ على يد صديقيه الامير شكيب ارسلان والامير فايز شهاب .

من ١٩١٥ الى ١٩٢٠ شغل المنذر عملا قضائيا ، وهو عضوية محكمة المتن ، وعضوية محكمة كسروان ، ولكن في سنة ١٩٢٠ سنة اعلان استقلال لبنان على يد الجنرال غورو ، وهو استقلال زائف ، ندد المنذر في خطبه العامة للشعب بذلك الاستقلال ، فعزلته السلطة الفرنسية من منصبه ولاحقته ، فلجا الى سوريا واقام في حلب . وفي هذه الغضون وقع حادث اعضاء مجلس الادارة اللبناني ، وهو الحادث المشهور بين بيروت ودمشق ، او غورو وفيصل ، وكان المنذر يعمل مع الاعضاء الذين اعتقلتهم السلطة الفرنسية ، وكان يرجو ان يسافر الى جنيف والمهاجر ليعمل مع اخوانه في سبيل القضية فلم يتمكن من السفر لحاجته الى المال .

ودعي وهوفي سوريا لتوليادارة المدارس العامة في حلب والاسكندرون من جهة الحكومة العربية في دمشق ايام فيصل . ودعاه فيصل الى دمشق لتولي منصب عال في ادارةالمعارف فاعتذر عن التلبية في المبعوثين، لايثاره العمل في خدمة لبنان . ونقول اليوم ، ونحن نوجز سيرة استاذنا الشيخ ابراهيم المنذر سنة ١٩٧٤ والتاريخ فيه القبل وفيه الدبر، انه لو قبل دعوة فيصل ، وكان ساطع الحصري قد دعاه فيصل من الاستانة فلبى وتولى دفة السفينة ـ المعارف ـ وجاء دمشق ، لكان يمين ساطع في قلب المعارف وبنائها على اسس حديثة يتقنها بابداع . والشيء بالشيء يذكر ، الاستاذ الخبير الكبير جرجس همام (من الشوير) قد دعي من «المعارف» دمشق ليسهم في الحركة ، فجعفررحمه الله ، وجعل رئيس ديوانالترجمة تابعا لساطع عن طريق « لجنة التاليف والترجمة » وكان يراسها السيد عبدالرحمن السفرجلاني . اما الاستاذ جرجس همام (٧) فقد اقام في دمشق الى ان اعتكر الجو بين فيصل وغورو ثم عاد الى لبنان وتوفي ١٩٢١ .

في سنة ١٩٢٢ انتخب الشعب في لبنان الرجل الثقة ، الشيخ المنذر للنيابة العامة ، رغم عودة السلطة الفرنسية لمناهضته فحلق الامانة ، ومضى يدافع عن مصالح هذا الوطن في وجه الاستعمار الفرنسي ، ولشدة تعلق بني وطنه به ، فقد جددوا انتخابهم له اربع مرات متوالية بعد ذلك . وكان في نيابته لخدمة الشعب على مبادىء الوطنية الحرة ، وفي حقائق سيرته ما يستفاد بوضوح ان المنذر لولا معارضة الفرنسيين له لكان من الميسور له ان يختاره المجلس النيابي للرياسة والحكم .

وذكرت « السيرة » مواقفه ومبادئه ومراميه كرؤوس اقلام فناخذ الصفوة من ذلك :

١ ـ الدعوة الى جعل العربية اللغة الرسمية الوحيدة في لبنان، ومناصرة الاداب والفن وانشاء مجمع علمي لبناني يتعاون مع المجامع العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد .

٢ ـ المطالبة بالغاء الطائفية (٨) ومنع المقامرة .

٣ ـ المطالبة بالتجنيد الاجباري ، لتمتزج التربية اللبنانية نحو امة لبنانية ، بعد مقاعد الدروس ، بالتربية العسكرية ، ولا الخطوة لبنانية جامعة موحدة بعد ذلك ، ابرك وافضل .

---

(٧) كاتب هذه السطور عمل مع الاستاذ جرجس همام بضعة اشهر في ترجمة تاريخ برستد الاميركي . ويعد الاستاذ همام من علماء العرب، وهو جد خبير في تاليف الكتب المدرسية ، و« مدارج القراءة » تبقى ذكرى فضله الى ما شاءالله .

(٨) اقصى ما بلغه لبنان حتى اليوم منهذه الناحية « الغاء طائفية الوظيفة » وهذا امره جديد في هذه الايام .

٤ ـ مناصرة المرأة في حركتها النسوية .

٥ ـ توحيد مناهج التربية والتعليم ، ومطالبة الدولة اللبنانية بالمشاركة على مناهج التعليم في المدارس الاجنبية .

وعددت « السيرة » اعماله في مختلف الجمعيات الادبية والخيرية والعلمية ، هذا كله بالاضافة الى ما نشر في صحف لبنان ومجلاته ، وفي صحف العالم العربي وديار الاغتراب ، من فصول رائعة بديعة . ولا ينبغي للقارىء ان يدهش اذ يعلم ان الشيخ ابراهيم المنذر كان موسيقارا متقنا العزف على الناي والعود ، كما كان هكذا الشيخ ناصيف اليازجي رجل القرن التاسع عشر . وللشيخ ابراهيم عدة اناشيد وطنية مدرسية ذاعت في المدارس والمعاهد والاندية . والف المنذر لا اقل من سبع روايات تمثيلية للمدارس ، دعما لمنهجه في التعليم .

واما كتبه المؤلفة ، فله في النقد اللغوي وعثرات الاقلام « كتاب المنذر » و« كتاب الدنيا وما فيها » وهذا في الادب والاجتماع . ونشر تحت عنوان « حديث نائب » فصولا شهيرة في النقد السياسي الاجتماعي .

وانتخبه المجمع العلمي في دمشق عضوا فيه منذ ١٩٢٦ ، وقد كرمته الامة في الوطن والمهجر تكريما واسعا ، شاكرة له اياديه الخالدة ، ولعل اكبر حفلة هي اليوبيل الذهبي في بكفيا سنة ١٩٤٨ قبل وفاته بسنتين تقريبا .

ونأمل ان يتجرد احد الادباء ، وفي نفسه طموح وعزم ، فيضع اطروحة في الشيخ ابراهيم المنذر ، ثم تجمع اثاره كلها من كتب وروايات واناشيد ومحاورات مدرسية ، الى المختار من فصوله المختلفة الموضوعات في طبعة متقنة اتقان ديوانه وذلك في مجلدات يتلو بعضها بعضا على نمط واحد .

هذا هو الشيخ ابراهيم المنذر ابو صلاح المصلح البناء ،

لو كان للراحلين من رجالات لبنان ، العظماء ، « بانثيون » لكان المنذر فيه . ولكن المنذ ر هو في « البانثيون » الذي لا يندثر ولا يناله عفاه : « التاريخ ».

الخاتمة : متى عرفت الشيخ ابراهيم المنذر وابن وكيف ؟

سنة ١٩١٢ كنت طالبا في السنة الثانية في مدرسة برمانا الانكليزية وكان اليوم الذي يعلن في صباحه فجأة انه يوم « بكنك » للخروج الى « نبع العرعار » قرب « بعبدات »، او الى « الدير القلعة » في بيتمري، اعظم في نظري ونظر كثيرين غيري من الطلاب ، من يوم اعلان الدستور العثماني الذي تكلمنا عنه في هذه الصفحات !!

كان المربي الاستاذ نعيم صوايا له مدرسته الوطنية في بعبدات، وكان الشيخ ابراهيم المنذر له « مدرسة البستان » في المحيدثة اوبكفيا. فلما وصلنا بعبدات ، نحن طلاب « مدرسة عين السلام » قالوا لنا علينا الان ان نزور مدرسة الاستاذ صوايا ، ومعنا نحن بعض المعلمين . ولا ادري اكان ما انا ذاكره الان وفق مخطط سابق ، ام وقع استحسانا وارتجالا.

واذ نحن في الردهة الكبرى في مدرسة بعبدات ، بعد ان مشينا من برمانا عدة كيلومترات ، ومعنا وامامنا استاذان مربيان كبيران : الاستاذ صوايا ونحن في مدرسته ، والاستاذ المنذر الشيخ ابراهيم ومعه رهط من طلاب مدرسته ، فتلاقى طلاب المدارس الثلاث .

وهذه ذكرياتي لا تزال حية واضحة : وقف الاستاذ المنذر في جمع الطلاب خطيبا ، واي خطيب هو اسمعه لاول مرة ، يتكلم عن التربية لهذا الجيل الذي كنا واقفين امامه ، وهو يشير الينا بيده ، ويشدد على التربية من اجل لبنان ، فاعجبت به خطيبا فوق الربع ، ومربيا فاضلا وكله روح وطنية ملتهبة . وتكلم الاستاذ صوايا وقتها ولكن اقل مما تكلم المنذر ، في الموضوع نفسه . ولم يتكلم احد من المعلمين الممثلين لمدرسة برمانا ، ولا ادري السبب .

وستئذ ظهرت حركة لبنانية سياسية تطالب بضم البقاع الى لبنان . واذكر ان احد المعلمين من مدرسة بعبدات ، وقف بعد المنذر وصوايا والقى شعرا لبنانيا وطنيا مطالبا بضم البقاع ، وكان شعره مخمسا ، واخر شعر :

« ان ارض البقاع لبنانية ».

ولم يكتب لي ان القى الشيخ ابراهيم المنذر بعد ذلك الا سنة ١٩٢٢ في بيروت ، فقد جئت وقتها مع مولانا شوكت علي الزعيم الهندي لاترجم خطبه الارتجالية لجمهور الناس ، فلقيت استاذنا المنذر في احد الاجتماعات ، ثم لقيته مرة اخرى في راس المتن سنة ١٩٢٤ في مأتم الشيخ سلمان وهو صديقه العزيز .

والله مدبر الامور . الكريم الحكيم .

انا لله وانا اليه راجعون

راس المتن ـ لبنان عجاج نويهض

في الدوامة

كفرت بالوحش في الانسان متخذا
سبيل جدواه دوف السم بالدسم
يريك ظاهره صفو الاخاء وفي
قرارة النفس حقد ناغر الورم
يرى بك النقص مهما دق من صغر
لكنه عن كثير الفضل فيك عم
بعض الاناسي وحش الغاب يفضلهم
من آكل القضى او من آكل الرمم
فالمرء يفتك جوعانا وممتلئا
وتأمن الوحش عند الشبع من امم
وقد تواصوا على الحسنى مصانعة
وكلهم لابتلاع الكل ذو نهم
وكلهم اذن للشر صاغية
لكنهم عن سماع الخير في صمم
ما للوداعة حق في عقائدهم
فالحق في كف ليث كاسر وفم
عبادة المال ما زالت مفضلة
والمال يعبد عند الناس من قدم
والناس تركض خلف المال لاهثة
وهم لجمع مزيد منه في زخم
ويكنزون من الاموال ما جمعوا
وهم وما جمعوا للدود العدم

البصرة سالم علوان الجلبي



ذكرى العقاد

بعد عشر سنوات من رحيله

(٢٨ يونيه ١٨٨٩ ـ ١٢ مارس١٩٦٤)

عامر محمد بحيري

بجانب السد .. في بيداء موحشة   عـلامة رفعت .. للمفرد العلم
بيضاء .. كالقلب في انقى سريرته   لنورها خشع الـزوار .. من أمم
تهوى القلوب اليها .. وهي مفردة   في صمتها.. مثلما تهوى الى الحرم
وعندها تسجد الاقلام.. ذاكـرة   من عنده اكبرت.. حرية القلـم

حرية الـقلم الغراء .. تسبقهـا   حرية الراي .. اذ يرتـاد آفاقـا
وكم سجين.. رهن القيد.. في ظلم   ما كحلت عينه بالنور.. اطلاقـا
كدرة .. ضمها في جوفه صـدف   واسكنت من خضم البحر اعماقـا
لا تعرف العين في الظلماء قيمتهـا   حتى ترى عقدها في الشمس براقا

ان الاديب ..هوالدر الذي حفظت   مناجم الفكرمنه.. الماس والذهبا
كانـــه امل.. يرجى لطالبـــه   يظـل في خاطر الاجيال محتجبا
حتى اذا ظهرت للعين.. بـــادرة   منه.. توقع من برد الشتا.. لهبا
شرهته في ظلام الجهل .. جوهرة   في الوحل.. واعجبا للظلم، واعجبا

لو كانت الارض تحيى دون ما امل   ولا غد .. بجديد الفكر.. ينتظر
ما اشرقت بعد طول الليل ضاحية   شمس .. ولا تم في ابراجه قمـر
ان الكواكب كثر .. في تالقهـا   كـانها درر في الليـل تنـتثر
وقد تساوت على بعد لنـــاظرها   فهل لدى العـين عن اقدارها خبر

فلنقترب من نجوم الفكر زاهـرة   على السموات .. هيا نشرع الآنا
فلن نحقـق من اسرار روعتهــا   حتى نرود على الجوزاء ميـدانـا
هذي الصواريخ قد دانت لراكبها   فلنقتحمها .. زرافات ووحدانـا

بالامس مر بها الشيطان مسترقا ... للسمع ..فليصبح الإنسان شيطانا

لكنه العلم.. جاء الدين يامرنا ... به .. لنبلغ بالايمان.. بغيتنا
كانت بدايتنا في الارض مظلمة ... وذي الكواكب .. فلنعرف نهايتنا
عودا لآدم .. ولنسمع لقصبته ... فلم تزل.. آخر الايام .. قصتنا
ونحن بالعلم والايمان نعرفها ... لا يرجع المرء بالايمان مفتتنا

لم يمش في هذه الغبراء من رجل ... الا وآدم .. منه الروح والجسد
ولا مشت نحوه في دلها .. امرأة ... الا وحواء.. في اعطافها .. ترد
ولا رأى نعمة حلت بساحهما ... ابليس.. الا اعتراه الغل والحسد
وهذه قصة الدنيا .. باجمعها ... تشابه الازل المطوي.. والابد

وتلك سيناء..قد قامت تحرزها ... جنود مصر .. واسرائيل تنهزم
كانما رجع التاريخ سيرته ... ومصر بالمجد قد دانت لها الامم
والناس فيمن اتى من بعدهم سير ... تروى،واشجعهم في الحرب خيرهم
وانما بطل الابطال من قدم ... مستشهد مات..لم يسقط له علم

ان المفكر جندي .. تحاربه ... اعداؤه .. ليسود الجهل والمرض
لكنه خارج الحرب مقتحم ... له من النجم في عليائه.. غرض
يبيت في الليل.. والامطار هامية ... كانه طائر في البرد .. ينتفض
والوحي كالغيث منهلا يلازمه ... وهل يعوق انهال الغيث معترض

هذا المفكر .. لم يسقط له علم ... وطالما خاض في الميدان اهوالا
وطالما عاش في اكناف صومعة ... يبني وينشيء افكارا ، واجيالا
وطالما صدرت في حربه كتب ... هي الكتائب..في الميدان .. ارسالا
حتى غدونا نراه بيننا بطلا ... فكم شاى في مجال الفكر ابطالا

مجدد الشعر.. في الديوان فصله ... واختار باقته .. خير الدواوين
وكاتب العبقريات .. التي بهرت ... بما تقدم من شرح ، وتبيين
وجامع الفضل من راي وفلسفة ... الى خيال ، الى عقل ، الى دين
كانه في مجال العلم .. جامعة ... ازهارها .. خير ازهار البساتين

يا ليتني سقت للعقاد .. ملحمة ... كفاء ما قدم العقاد .. للوطن
فبعد عشرة اعوام .. تمر على ... وفاته .. لم تزل ذكراه تحضرني
فلتذكروه مثالا يحتذى ابدا ... وليس ينساه الا جاحد المنن
ان الذي بات ينساني ، واذكره ... غدا اذا مت .. انساه.. ويذكرني

مصر الجديدة ... عامر محمد بحيري

ميســـــون

بقلم سكينة الشهابي

***

بعد قراءة مسرحية « انسان» لسليمان العيسى كنت أظن ان موهبته الشعرية قد خبا لهيبها ، وكتبت يومها متحدثة عن تلك المسرحية لابين انها تفتقر الى شيئين رئيسيين لا تقوم مسرحية بدونهما وهما الواقعية والصراع .

واليوم بعد قراءة مسرحية « ميسون » ازداد يقينا بان ما يكتبه بعيد عن الفن المسرحي ، ولكن الرجل لايريد ان يسكت ، لانه يود ان يثبت وجوده كشاعر، على الرغم من همود نفسه الشاعرة وركودها .

لا ادري ما الذي اصاب سليمان العيسى في الايام الاخيرة فابتعد فيما يقول عن التأثير وغدا الشعر عنـــده تكرارا مملا لما سبق ان قاله في قصائده الماضية ، الصور هي الصور والمعاني هي المعاني .. ولكن شيئا من ضجيج الالفاظ وفخامة العبارات يحاول به ان يوهم قارئـــه بالجديد . هذه الحيلة قد تخدع الذين لا يعرفون سليمان الشاعر معرفة تامة في كل دواوينه ومسرحياته ، امـــا الذي عاش شعره كله فانه يحس فيما يكتبه الان بالانحدار. كان الينبوع في الماضي عذبا متدفقا فغدا الان ساقيـــة ضحلة تحيط بها الرمال والصخور لتدلنا على وجود نهر عظيم كان في الماضي والان خف هديره وتضاءل نبعه .

« ميسون » حكاية تاريخية رائعة حدثت في القرن السابع الهجري ، قراها سليمان العيسى فحولها الـــى مسرحية شعرية ، كما فعل في « انسان » وكما فعــل في « الازار الجريح » والذي يهمنا حقا ماذا فعل الشاعر بهذه الحادثة التاريخية الصغيرة بعد ان حولها الى شـــعر وادخلها محراب الفن المسرحي ؟ ربما قلنا ونحن على جانب كبير من الاطمئنان لا بد ان يكون هناك لمستان مس بهمـا الشاعر الحادثة ؟ اللمسة الاولى لمسة الشاعر واللمسة الثانية لمسة الفنان المسرحي ، وكل منهما سيزيد في تأثيرها وقوتها ، لان اللمسة المسرحية ستبعث الماضي حيـــا يتحرك ولمسة الشعر ستخلع عليه هالة من الايحاء وعمق الانفعال . ومهما يكن من امر فان قارئ المسرحية سيجد فيها ما لا يجده قارئ كتاب التاريخ ، ففي التاريخ جفاف العرض لألتزام الحقائق ، وكاتب المسرحية يستطيـــع أن يتصرف بالحوادث كيفما يشاء في سبيل اداء غرضه الفني اذا لم يسيء ذلك الى المغزى .

ومن هنا سننفذ الى المسرحية لنرى ان سليمـــان العيسى قد ادرك هذه الناحية فاضاف الى الشخصيات التاريخية شخصيات اخرى ، لقد ذكر التاريخ ميـــسون الفتاة العربية كما ذكر سبطا الجوزي امام الجامع الاموي.

وسليمان العيسى أوجد شخصيات جديدة في سبيل غرضه الفني هي : شخصية والد ميسون وشخصـــية رفيقتها رباب ، ثم اخوتها الثلاثة : طارق وزياد واسامة.

والمهم في الفن المسرحي ان تؤدي هذه الشخصيات ادوارها جيدا في خدمة المسرحية لنحكم على المسرحية بالنجاح او الفشل لان الذي يهمنا حقا ليس ما حـــدث فعلا ولكن ما يمكن حدوثه .

في اعتقادي ان شخصيات سليمان العيسى لم تقم بدورها الفني كما يجب هذا الدور الذي يجعل منهـــا وسيلة في كشف الحوادث وتطورها ، ثم في خلق الحركة المسرحية . فرباب صديقة ميسون فتاة مرحة لا تشارك ميسون في مشاعرها القومية ، تريد ان تستمتع بشبابها قبل كل شيء ، انها لا تملك من رجاحة التفكير وعمـــق المشاعر ما تملكه ميسون ، ولا ندري لماذا اختار لها سليمان العيسى هذا الدور ، اليست غايته ان يثبت لنا ان المراة العربية قادرة في كل العصور على اداء واجبها في بعـــث حمية الرجل واثارة كرامته ونخوته فلماذا لا تكون رباب اختا لميسون في هذا المجال ولا مانع ان تكون شخصيتها اضعف من شخصية ميسون بحكم الدور الذي تلعبـــه ميسون في المسرحية اليس هذا اجدى في خدمة هـــدف المسرحية ؟

واخوة ميسون : طارق وزياد علمنا من اللمحة الثالثة انهما قد استشهدا في المعارك الدائرة بين العرب والفرنجة. انهما نموذج للشباب المناضل فقط . وهذا لا يتفق مـع الواقع التاريخي كذلك لا يخدم غرض المسرحية لان ميسون الفتاة الابية هي التي اثارت نخوة الرجال حين ارسلــت شعرها وشعر رفيقاتها ليلقى من فوق منبر الجـــامع الاموي على رؤوس الرجال ، هذه الفتاة الابية يجـب ان يكون لها شيء من الاثر في نفوس اخوتها فيسرعون الـى التضحية قبل غيرهم من الرجال .. وهذا ما لا تتحدث عنه المسرحية وكل ما نراه ان ميسون تجزع جزعا شديدا حين يبلغها نبأ استشهاد اخويها ، وهذا ايضا لا يتفـــق مع شخصية ميسون القوية ، كنا نامل ان نرى الاب جزعا ملتاعا وميسون تسري عنه بحكم دورها المسرحي هـذا الدور الذي تغدو المسرحية بدونه جثة هامدة .

وربما عز لسليمان العيسى شيء من هذا فـــاراد ان يجعل لميسون بعض الاثر في تفتح الروح القومية فـي نفس اسامة الاخ الاصغر لميسون فأجرى حديثا في اللمحة الاولى بين الاخ واخته ولكن ذلك الحديث لم يكن مباشرا، انما كان صورا شعرية متفرقة مغرقة في الخيال ، لقـــد حدثته عن نخلتها التي لا ترتوي مهما قدمت اليها من مياه واقسم هو ان كلامها من الشعر الغامض الذي يتعـــذر فهمه . تقول ميسون :

اني تعبت .. سفيتها
حتى مللت

اسامة « في شيء من الدهشة » : سقيت ماذا ؟

« في دعابة ساخرة » : حملت جناحي غيمة
ميسون وانهمرت رذاذا
اصبحت شاعرة ، وحق العشية الزرقاء
والارج المنمنم
اصبحت شاعرة .. تقبول ؛
فلا يكاد الصحو يفهم

الا يؤكد لنا هذا النص ان اسامة لم يفهم ما تريده ميسون في حديثها عن النخلة ؟ ولكن ما اثر فيه فعلا ذلك الحوار الذي دار بينه وبين والده عندها فهم الواقع تماما وامتلأت نفسه عزيمة فصمم على اللحاق باخويه ليخوض معركة الشرف ، ووقتها على ما يبدو ادرك معنى نخلة ميسون ، انها شجرة العروبة لا تخضر الا بالدماء، لن تخضر شجرة العروبة والغزاة يدنسون تربتنا الطاهرة، لقد فهم هذا المعنى بعد حديث والده الطويل :

نخلة ميسون على صواب !
لن يلد التراب
زيحانة خضراء
سوسنة بيضاء
لن يلد التراب
الا صرير الذل في الشفاه
ما دام في ديارنا غزاة

لو اتقن رسم الشخصيات في المرحية لاحتلت ميسون المركز الرئيسي في كل ما يجري من احداث لتستطيع ان تاخذ من نفوسنا ما تستحق من اعتبار وبالتالي ليحقق مغزى المسرحية هذا المغزى الذي يجب ان يؤكد ما لاثارة النخوة في رؤوس الرجال من اثر في حفظ الكرامة والدفاع عن العرض والذي يجب الا يدع مجالا للشك ان المراة العربية في كل زمان ومكان كانت سباقة الى فهم معنى الكرامة .

وتكاد شخصية والد ميسون ان تاسر نفوسنا وتعجبنا ، فقد ضحى بابنائه وظل متماسكا صلبا ، وادرك أبعاد المعركة واستطاع بحكمة الشيوخ ان يرسم امام ابنه اسامة طريق الخلاص :

نحن هنا فلول
فلول مقعدين
في الارض غائرين
يقرضنا النعاس والسأم
يقرضنا الموت .. بلا الم
لو اننا نالم يا بني
لو اننا نحس اي شيء!
لما حملنا الغزو والغزاة
لما بحثنا في السراديب عن الحياة

ولكن سليمان العيسى لا يشاء ان يرسم شخصية قوية واضحة المعالم تلعب دورا ايجابيا تاما في المسرحية لذلك فان والد ميسون بعد ان يحض على القتال ويعتبر الفناء نهاية كل انسان ، ويلقن ابنه درسا في الشجاعة، بعد ان يقول لابنه :

يوم عاش الخوف والحذر   راح هذا المسك يحتضر

نراه يضن بهذا الابن على الوطن ويجد نفسه قد ادى واجب التضحية باثنين من ابنائه :

يكفي اخوان
لبيا صوت النفير
حملا عني وعنك العبء
غابا في السعير

ولو حاسبنا سليمان العيسى على عبارته الاخيرة لكان الحساب شاقا ومريرا اذ متى كنا نسمي الذي يستشهد في سبيل الله « غائبا في السعير » ؟! ولا شك ان سليمان العيسى اراد بالسعير سعير المعركة ، ومع ذلك فان هذا المعنى لا نستطيع تقبله بالنسبة لمناضل عربي سقط في سبيل الله والوطن .

ويكفي ان نقول ان شخصية والد ميسون اصابها كثير من الاضطراب حين ادرك التضحية هذا الادراك المحدود .

هكذا كانت الشخصيات في المسرحية مهزومة ومضطربة لم يستطع سليمان العيسى ان يربطها بفكرة المسرحية ربطا صحيحا لان همه انصرف قبل كل شيء الى نغم العبارة ولم يفكر في مدى ملاءمة هذه العبارة لمكانها من الحوار ولا الى مقدار خلقها للجو العام وتعبيرها الدقيق عن الشخصيات .

كذلك كان همه منصرفا الى الصورة ، الصورة التي ترسم لوحة لا الى الصورة التي تخلق حياة ، وما اكثر ما تاتي الصورة عنده مكرورة معادة كما في قول ميسون :

لكنني أومن يا رباب
بان هذي الجمرة الخضراء
هي التي تشعل في المقابر الحياة
هي التي تلون السماء

وهذا المقطع الغنائي يعيد لنا صورة عرفناها عند سليمان العيسى في قوله :

الميت ينهض والقبور قصيدة   والمنشدون الى النزال فداء
دق الفدائيون باب نشورنا   وكالف بشرى بالرسالة جاؤوا

وهي صورة ليس له فيها فضل السبق فقبله قال السياب عن ثورة الجزائر :

تمخضت القبور لتنشر الموتى ملايينا

وقد ابتعد عن الموضوع اذا قلت ان سليمان العيسى قليل الابداع في خياله يستوحي دائما صور المجددين من الشعراء وعلى رأسهم السياب والدرويش . وما اكثر ما يقلب صوره الماضية على وجوهها ويغرب في عرضها

تقول اتهواني

تقول اتهواني .. وماذا تحب بي
وفي طرفك الوسنان سحر مخدر
وفي خدك الوردي للقلب سلوة
وفي ثغرك المعطار يا حلو كوثر
عذرتك ! اذ لم تدر ما يفعل الهوى
بمن قلبه المحروم يهوى ويشعر
لكم شاقني من فيك لثغ محبب
اذا ما وعى سمعي حديثك يسكر
كلام كنفح الطيب ينعش خاطري
وهل من حديث الحب احلى وانضر
اراك كزهر الروض تبدو ملاحة
فخدك معطار وقدك اخضر
حواليك تهوى الامنيات وترتمي
وانت كما يزهو بك الحسن تامر
حنانيك ذا بعض الشعور فضحته
وان الذي اخفي اجل واكبر
لانت الى قلبي بقية صبوة
تمطر ايامي الى حين اقبر

بغداد عبدالخالق فريد

ليخلع عليها طابع الجدة .

وهنا على الرغم من اننا امام مسرحية تحتاج الى الحياة والحركة قبل ان تحتاج الى الصورة الملونة فاننا نجد الشاعر يسعى وراءالصورة لانه يظل شاعرا غنائيا لا يهمه الفن المسرحي بقدر ما تهمه اللوحات الفنية المعبرة، هذه اللوحات التي يغلب عليها الغموض وتلفها الرومنسية. تقول ميسون حين تسالها رفيقتها رباب عن اخوتها :

رباب في جوانحي نذير
ورعشة قاتمة الصدى
تهزني تطير
تعود يا رباب كي تثير
سحائب الاسى

فالرعشة القاتمة الصدى وسحائب الاسى صور ابداعية مطبوعة بطابع الكآبة والغموض لا تلائم ما يحتاج اليه المسرح من سهولة ووضوح.

وهذا يعني ان سليمان العيسى لم يدر ان المسرحية فن لا علاقة فيه للصورة الموحية والوزن ، انهاقطعة من الحياة تمور بالحركة وليست لوحة جدار جامدة او تهويمات رومنسية معلقة في السماء قد نجد الصورة في المسرحية ولكن لا نجد في المسرحية صراع الحياة ولبست قصة الحياة ، وحتى هذه القصة لم تظهر عند سليمان العيسى فجاءت مسرحيته لا « لمحات فنية » كما شاء ان يسميها بل اشلاء ممزقة من قطع الشعر الغنائي لا علاقة فيها للفن المسرحي.

وكما افتقرت المسرحية الى البناء الفني الجيد تفتقر الى مشاكلة الحياة . وكان حالة العرب الحاضرة قد استولت على خيال الشاعر فانصرف اليها متناسيا واجبه في لملمة خيوط الماضي وبعث الحياة فيه ويقيني ان هذا من اكبر عيوب المسرحية .

لقد انصرف الشاعر الى الشعر الغنائي متناسينا واجبه في خلق الصراع ودفع الحركة ورسم الشخصيات حتى اننا لا نجد فرقا بين مقاطع من المسرحية وبين شعر نعرفه لسليمان العيسى ونعرف ما في معناه لشاعر المقاومة محمود درويش تقول الجوقة في المسرحية مرددة ما قالته رباب رفيقة ميسون :

في حنايا الارض روح لا تموت
تتحدى الجبروت
في حنايا الارض
روح الشعب
كالشمس تقاوم
كجذور الشجر المقطوع
كالريح تقاوم

فهذا المقطع يذكرنا بقصيدة سليمان العيسى الرائعة « موكب النور » كما تتجلى فيه روح المقاومة الفلسطينية ونفحة شعراء المقاومة ، لقد نسي سليمان العيسى الواقع التاريخي واقع المسرحية وعاش واقع النكبة فاذا به يحدثنا عن الثورة المنتظرة بارادة الشاعر الملتزم الذي يتسلح بحتمية التاريخ هذه الحتمية التي تؤكد ان النصر دائما للشعوب الاصيلة وهذا يبعث الامل في نفوس الجماهير العربية في كل قطر من اقطار الوطن العربي . هذه الفكرة وجدناها عند السياب والدرويش والفيتوري ولا مجال هنا لعرض النماذج .

ونستطيع ان نقول بعد الذي مر ان في ميسون جسم مسرحية من نوع خاص وهذا الجسم لا تنبض فيه الروح وهناك فكرة ولكن هذه الفكرة ظلت في نطاق النص التاريخي الجاف وربما كان اقل جفافا قبل ان يستحيل الى كلام منظوم يقيده الوزن وتثقل كاهله الصورة المتكلفة.

والخلاصة ان سليمان العيسى عجز عن ان ينفخ في مسرحيته الحياة لانه عجز عن نفخ الحياة في شخصيات هذه المسرحية وهكذا ضعفت الفكرة وراء صوره الضبابية الغامضة .

واضطرب الغرض حين اضطربت الشخصيات وعلى راسها شخصية ميسون بطلة المسرحية .

دمشق سكينة الشهابي

أغنيـة الطائر الغريب

منذ عام ١٩٤٢ فسحت لي مجلة الاديب صفحاتها لبواكير شعري ـ تسلسل بعضه قصائد في الشعر الحر ، وفي عام ١٩٥٢ نشرت لي ـ وانا بهذا لمعتز فخور ، ـ ديوان «سحر» ومنذ ذلك الوقت، هجرت الشعر ، منصرفا الى القصة والرواية ، وانه ليسرني ان انشر اول قصيدة لي نظمتها ، هنا ، في غربتي البعيدة في افريقيا، في المجلة نفسها التي رعت شعري واحتضنته ، ترى اتكون طبيعة افريقيا الرائعة هي التي اغرتني بالعودة الى جنتي المفقودة؟ (ب.ح)

ـ ١ ـ

وغامت شواطىء افريقيا .
واغفت على جنح لحن ، يرف ، غريبا ، غريبا .
يسلسله ، طائر اصفر ،
يغازل منقاره الارجواني ، عذبا ، طروبا .
كما اللؤلؤ الرطب
ينساق من سمطه الاحمر الخافق
لياوي الى العين ، ظلا ، غنوجا ، لعوبا .
يجاذبه الجفن ، لحظة يهمي ،
لينهد ، في قطرة اثر قطره
ويضحك ، في الثغر فلا ، ندى ، ياسمينا .
ويتراح ، في زفرة تلو زفره .
واسمعه يمسح الغصن ، في لهفة موجعه
انا طائر ، ضائع ، شارد ، مولع
اغني :
ككوكت ، ككوكت ، ككوكت ، ككوت .
تراني انادي ، اغني ، اموت ؟

ـ ٢ ـ

ومر ، على الآبنوس المليس النقي
صدى ضحكة ناعمه
صدى يمنح الثغر ، طلا ونكهة مسك ندي .
وطاف على برعم ... شوق عتي
فماز ، اشراب ، تثنى
وذرذر ، في خطوة حالمه
ظلال النخيل الحزين المعنى
يمد الى الطائر القادم المستهام ذراعا حنونا
واملود غصن
يحط عليه الجناح الغريب الطري
وتهتف حنجرة ، سمحة ، شاكيه .
تردد ، في لهفة طاغيه :
أنا طائر ضائع ، شارد ، مولع
اغني :
ككوكت ، ككوكت ، ككوكت ، ككوت .
تراني اغني ، انادي ، اموت ؟

ـ ٣ ـ

وذابت عواصف وجدا على شفة القوقعه
تلخص فيها ، نداء البحار القصيه .
ومن موجة طيعه
تراءى لسان من اللهب الابيض الازرق
يسوي ، على الصخر ، تمثال جمره
واطياف شفره
تهاوى لتجرح صدرا
لتخمش خدا ، لتقطف زهره
لسان يثرثر يلعق شهوة رمل هلوك عتيه
ويشرب ـ ظمآن ـ جيدا ، ذراعا ، وأنملة بارعه
ومطلع اغنية مترعه ،
وينحت للوهم ، كهفا يضج الصدى فيه
ينآد ، ينقاد ، يهفو
وينكفىء اللحن شجوا
على الشاطىء المشرق
يغادر منقاره الاحمر الحلو رهوا .
يردد في لهفة موجعه
انا طائر ضائع ، شارد ، مولع
اغني ، ازحزح ، اما توجعت افقا
وارسي عمودا من النور ، اما تلفت شوقا
ويلعب منقاري الاحمر
بمسبحة لاغيه
توسوس حباتها ، اغنيات ، تئن ، تموت
ككوكت ، ككوكت ، ككوكت ، ككوت .
تراني انادي ، اغني ، اموت .

كوناكري   بديع حقي



بقلم حسني سيد لبيب



زمجرت الطبيعة ، وارسلت غضبتها عبر السماء . تلبدت السحب الدكناء ، دوى الرعد ، وومض البرق . وانذرت السماء منذ الصباح الباكر بهطول المطر ، فقد كان صباحا لا شمس له ، وان بدت فلا تمكث لحظات حتى تواريها الغيوم . اختفت زرقة السماء ، وتبدد صفاؤها . توقع الكل غزارة المطر ، وكانت الريح محملة بالغبار ، تشتد في اكثر اوقاتها ، فتضرع الناس طالبين المطر حتى تهدا الطبيعة الغامضة ، ويعود للدنيا صفاؤها ونقاؤها .

وقد احتاط غالبية الناس ؛ فانتعلوا احذيتهم القديمة ، وارتدوا ملابس واقية من المطر ، والبعض ارتدى المعاطف الجلدية . وقد تكاسل آخرون في الفراش منتهزين تقلب الجو فرصة لاجازة انفسهم من اعباء الحياة والتزاماتها :

وفي ركن ناء من مقهى صغير ، يقبع رجل ممتقع اللون ، وبالقرب منه يرقد حماره الضامر ، يدرك الرجل غضب الطبيعة ، وتقلب الجو ، ولا يكترث . استقرت في باطن قدميه طبقة جلدية مشققة ، يعلوها طين الحياة الذي آنس جلده واستقر عليه . يعرف الرجل ما تبيته الطبيعة لكنه لا يكترث . خرج لرزق يومه حافي القدمين ، متجلببا جلبابه الرث الوحيد الذي علقت به الاوساخ فاخفت لونه الحقيقي ، كما تناثرت قطع القماش ترتق ما بلي من الجلباب الذي اوشك على التهتك ، ولا يجدي معه ترقيع او حياكة ، ولا طائل من عمليات الترميم . فقد بدا لحم الرجل الممتقع اللون يظهر من خلل الجلباب الممزق ، والاتربة العالقة بجلده الظاهر ليست اقل مما التصقت على الجلباب .

ارتشف حميدة الشاي وهو يحس براحة كبرى ولذة لا تعادلها لذة ، فهذه هي لحظة السعادة ، واحيانا يمنع نفسه منها لضيق ذات اليد فيظل طول نهاره منحرف المزاج ، عصبي السلوك .

يرقد الحمار بالقرب منه على الارض . ولو يستطيع البكاء لفعل شاكيا قلة الزاد مما ادى الى ضموره وهزاله . اما حميدة ، فليس له في الامر حيلة او وسيلة ، وهو يعلم الضعف الذي اصاب حماره ، وهو ايضا يشكو الضعف ، وقلة الرزق . وماذا بوسعه ان يفعل ؟ ان العربة الكارو لم تعد تنفع بشيء ، فنادرا ما يطلبه الناس لنقل الاثاث ، وغالبا ما يلجاون الى عربة كارو ذات اتساع . وحين استخدمها في نقل السابلة عبر شارع ناهية الطويل ، دخلت جيوبه قروش لا باس بها ، فواصل هذا العمل ، ونعم بالاستقرار اياما قليلة ، ثم بدا المورد يقل ، فقد آثر الناس المشي بدافع الرياضة ، او الوفر ، او كلاهما معا . ولم يدر احد من زبائنه ان هذا الوفر يضر بمصالحه. وفي كل يوم ، ينتحي ركنا قصيا في المقهى ، يامل في كوب شاي يتكرم به صاحب المقهى مجانا ، واذا ما تناساه ، طلب على حسابه الخاص . واذا ما تعذر عليه شرب الشاي ، ينحرف به المزاج ، وتنتاب سلوكه العصبية مما يكون له اسوا الاثر على زوجه في المساء .

حملق في السماء الملبدة ، وتمنى ان تهطل الامطار بغزارة .. فشارع ناهية مترب ، وحتما ستغير الامطار معالمه فيتحول الى طين وبرك يتعذر خوضها . تراقصت الفرحة في عينيه ، وداعبه حلم جميل بان تمتلىء العربة الصغيرة بالناس ، حيث يتهادى بعربته عبر الطين والبرك الصغيرة . امامه ثلاثة ايام تمن بها الطبيعة عليه ، حتى تجف الارض وتعود الى طبيعتها . نادى على النادل في فرحة ، وطلب شايا . ارتشفه في تلذذ وراحة ، وراح يقدر الثروة التي ستملا جيبه ، وماذا يفعل بها ؟ ستفرح زوجه المسكينة ، وفي إمكانها شراء ربع كيلو لحم . لقد تهدل صدرها ، وطفلها الرضيع لا يرحم ، يظل يمتص كانه يمتص دماءها ، فشحب وجهها ، وبرزت عروقها النافرة في صدرها . وكان يعجز عن فعل شيء ، طلب العون من اولاد الحلال ، فوعدوه بعمل يضمن له راتبا شهريا ثابتا ، وانتظر التعيين ، وطال به الانتظار . فقد كانت الكلمات الحلوة كثيرة . وظل صابرا يقتات رزقه ، فيطعم زوجه واولاده الثلاثة وحماره ، واحيانا يلجا الى الصوم حين ينقطع الرزق .

غضبت الطبيعة اشد الغضب ، وكانها تحتج على حال حميدة وامثاله من المعذبين في الارض . هطلت الامطار بغزارة ، وكانها دموع الآلام تغسل بها السماء آلام البشر ، وتطهر الارض مما علق بها من ادران .

لم يطق حميدة مثل هذه الفلسفة ، لكنه شرد ، واحس بالسماء تنتقم له ، فزغردت فرحة صبيانية في صدره ، ثم افاق من شروده على نهيق الحمار ، وكانه يشارك الطبيعة نواحها . وابتسم حميدة ، فحماره الهزيل يتقاسم معه الفرحة .

انتهى من رشف الشاي في الركن الضيق الذي لاذ به ، بدات السيول تخف حدتها ، وخفت صوت النهيق ،

ثم خمد تماما ، بينما قطرات قليلة من المطر تتساقط من فينة لاخرى . لاح قرص الشمس ، وعاد الى الجو صفاؤه ونقاؤه . تحول شارع ناهية الى برك ومستنقعات وطين .. نهض حميدة متحفزا ، يحدوه نشاط غريب . ربط الحمار في العربة ، وعمل على تنظيفها حتى تصلح لجلوس الركاب . ثم خطا بعربته خطوات الى امام ، فاشارت سيدة بدينة ، اوقف العربة ، واتسع صدره لاستنشاق الهواء الرطب . اقتربت السيدة البدينة ، برق الذهب الذي يلف معصمها ، ويطوق رقبتها ، ويتدلى من اذنيها . انه الذهب يا حميدة ، شيء تسمع عنه كثيرا ، لكنك لا تملكه ، ولا تحلم به . ان احلامك المتواضعة لا تعدو رغبتك في كسب قروش قليلة تكفي ثمن العشاء .... اتسعت ابتسامة السيدة البدينة ، التي شمرت ملاءتها السوداء ، ورفعت فستانها قليلا . صعدت العربة بصعوبة بالغة ، بعد ان اتكات بيدها المكتنزة على كتف حميدة الواهن . تمالك نفسه ، واستجمع قواه . وبرغم انين قدميه اللتين لا تقويان على التحمل ، الا انه تجلد وتماسك حتى استقرت السيدة على سطح العربة ، ثم اطلق تنهيدة ارتياح . لكنه نعى حظ الحمار العاثر الذي اوقعه في هذا الوزن المخيف . هز الحمار راسه ، ومال بها ناحية حميدة كانه يشكو له بلواه . ...

حاول حميدة ترضية السيدة البدينة بشتى الطرق ، والتي كانت فاتحة خير له ، فقد توافدت الكثيرات ، حتى اكتظت العربة .

عانى الحمار الآلام المبرحة في كل خطوة يخطوها . يعمل على تخليص حوافره بصعوبة من الطين ثم اذا بها ترتد مكانها . يحاول من جديد ، ازاء عنف حميدة الذي يشد اللجام تارة ويهوى على مؤخرته بكفه النحيلة تارة اخرى .. ونجحت محاولات العنف في احيان ، وفشلت في احيان اخرى . ويتناهى الى اذن حميدة ثرثرة النسوة اللاتي تربعن على سطح العربة ، وتعالت اصواتهن .. انسلخن عن حميدة وحماره الى احاديثهن التافهة ، متلذذات بهذه النزهة ! تمنى ان يسمع منهن ولو كلمة تطييب واحدة ! بوده لو احست احداهن بآلامه . ارهف اذنيه ليلتقط صوتا ضعيفا هامسا : «شد حيلك» . ابتسم ملتفتا الى الوراء ليتعرف على صاحبة الصوت ، ولشد ما كانت دهشته حين الفى الجميع يثرثرن في احاديث لا تنتهي . وقع نظره على امراة صغيرة السن بها مسحة من



حسني سيد لبيب

جمال ، خفق قلبه حين خالجه احساس بانها صاحبة الصوت الهامس ، الا انه فوجئ بها تغط في النوم منتشية بالهواء الرطب وانسامه الحلوة ! سحب ابتسامته اليتيمة ، وعاد يلكز حماره في عصبية ظاهرة ، مواريا في اعماق صدره اضغاث الاحلام التي صورها له الوهم الكاذب .

ولما كانت قدرة الحمار على المسير تستنفد عند حد معين لا تتعداه مهما استجمع من قوى ، فقد استنكف التعذيب وتمرد عليه ، واستعصى على حميدة نهر الحمار وحثه على السير . جمح الحمار واخذ يئن بالاثقال التي يجرها . خطا — تحت وطاة الضرب والايلام — خطوات هزيلة الى الامام ، ثم ما لبث ان رقد على الارض منقلبا على ظهره ، واهتزت العربة هزة عنيفة ازعجت الراكبات ، فصرخن طالبات النجدة ! بينما وقف حميدة مذهولا امام حماره المتمرغ في الطين ..

حدث هرج ومرج بينهن ، واخذن يشهقن ويضربن صدورهن باكفهن ، ثم اسرن بالنزول . اصبح النزول سهلا بعد ان مالت مقدمة العربة حتى لامست حافتها الارض ، وتسابقت النسوة فيما بينهن على النزول ، وكان البقاء شر مستطير ، وبدات التعليقات اللاذعة تؤذي حميدة .

لم يبق على العربة سوى السيدة البدينة التي يغطي الذهب صدرها ومعصمها واذنيها . ويبدو أن السيدة التي كانت اول من ركبت ، اعتبرت ذلك ميزة تجعل من حقها ان تكون آخر من تنزل ! . راقبت الحمار وهو يئن ، واحيانا يشهق شهقات مخيفة .

— اعطه طعاما ..

— هذه الحالة لا يجدي معها ماء او طعام .

— الا يمكن افاقة الحمار من غيبوبته ، ومداواة اوجاعه ؟

— ندعو الله ان يرحمنا .

تهدج صوته بالدعاء . راقبت حميدة — وهي متربعة على سطح العربة المائلة — واستهواها ما ترى . توزعت نظراتها بين الحمار المريض ، وصاحبه الواجم الذي لا يملك سوى تفويض امره الى الله .

— الا تحاول انقاذه ؟

— انه يلفظ انفاسه الاخيرة .

ولم تكن تتصور ان الحمار ينفق ، وافاقتها كلمات حميدة ، فاعتبرت المشهد الذي امامها فرصة كي تتفرج على حمار ينفق ! . استهواها

الصيف العائد

روحيني واسمعي مني النداء … واصدحي بالحب ان الصيف جاء
عاد في شاطئنا موعدنا … فلنعد ننشد للحب الغناء
هذه صخرة احلامي التي … رعت الحب حنينا ووفاء
كلما جئنا الى جانبها … طربت واستعجلت منا اللقاء
كم من الاشعار قد سمعتها … فروتها للشحارير ، شتاء
انها تدري باسراري التي … صانها القلب عن الناس خفاء
صخرة تستشعر النجوى اذا … حرك الشوق بقلبينا الدماء
وعليها سال قيثار الهوى … كلما ركب من الفيد تراءى
طالما طفنا العشيات بها … وتمشينا مع الحب سواء
ذكريات الامس تجري في دمي … شعلا منها طريق الحب ضاء
نعبر الدنيا على لحن الهوى … والمنى ترعى هوانا كيف شاء
قبلات الشوق عند الملتقى … جددت وادي الهوى رملا وماء
انت يا ملهمتي الشعر ويا … من لها رجعت في الحب الغناء
هاك ديواني ، فما فيه سوى … خلجات من دمي سالت وفاء
انا للحسن اغني والهوى ، … وفؤادي صار للغيد فداء
فاسمعي الحان حبي انها … نبرات صاغها الشعر غناء
كلما جاء لنا الصيف مشى … موكبي يستقبل الصيف احتفاء
وحيالي كل حسناء سنى … وجهها يسفر كالبدر سناء
استمد الوحي من الحاظها … واناجيها صباحا ومساء
ايها الصيف لقد عاد الهوى … واتيناك مع الحب سواء
فاجعل الامواج في استقبالنا … تتغنى بالمواعيد صفاء
ليس غير الحب شيء في الدنى … يترع الروح حبورا وهناء
سهرة الحب رحيق تنتشي … منه ارواح المحبين اشتهاء

البحرين … احمد محمد الخليفة

المنظر ، وظلت ترقبه في صمت وهدوء ، بينما تسال الدموع من عيني حميدة . يبكي راسماله المتمرغ في الطين ، منتحرا بفعل مشقات الحياة : واثقالها !.

ــ يبدو انه كان مريضا ..

غمغم حميدة :

ــ امرنا لله يا ست هانم .

حاولت ان تكسر حدة الحزن الذي اشتد على صاحب الحمار ، قالت له :

ــ اسمع يا جدع .. اترك عوضك على الله ..

ــ انه ثروتي .

صمتت قليلا ثم قالت :

ــ اعطيك عشرة قروش ، وتكمل انت المشوار . كما ترى ، لا يمكنني السير في هذه الارض الوحلة .

كان العرض مغريا ؛ بعد ان خسر اجر جميع الراكبات . بقيت هذه السيدة ، تعرض عرضها السخي . انه احوج الى القرش ، فما باله بعشرة قروش !. لقد نفق الحمار ، وما كان قد كان .. المهم .. يتحصل على قوت يومه ، وبعدها « تفرج من عند الله » !. وعلى التو ، امسك بيدي العربة ، واخذ يستجمع قواه محاولا ان يجوس بقدميه العاريتين اوحال الطريق ؛ تاركا خلفه حماره المسكين .

احس حميدة بثقل السيدة وهو يستجمع قواه . انه يحمل ثروة ضخمة عليه ان يصونها . تتمثل في بريق الذهب الذي يلمع على صدرها، وحول معصمها ، وفي اذنيها . وعليه ان ينقل صاحبة الثروة الى المكان الذي تقصده ، بينما قلبه منفطر على حماره ، وفي خياله يزهو حلم جميل بالقروش العشرة التي سوف يفاجىء بها زوجه .

القاهرة … حسني سيد لبيب



الدكتور محمد رجب البيومي

أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لقيته بعد عشرين عاما ، فما كدت اعرفه ، لقد كثر البياض في شعره كثرة مزعجة على حين شحب لونه وغارت وجنتاه ، وخبا كل ضوء في وجهه لولا بريق خافت لا يزال يشع في العينين ان طال النظر ، وعهدي به شابا في الخامسة والعشرين ذا صباحة والق ، وكان متحركا نشيطا يكاد من الخفة يطير ، فما له اليوم ، ولم يتقدم به العمر بعد قد صار على ما ارى ، لقد شرق بنا الحديث وغرب ، فألمنا بذكريات الصبا ، وقص علي في مرارة ما احدثت الايام له بعدي من مزعجات ، اقلها انه لا يزال مدرسا في معهد اعدادي ، وانه تزوج مرتين دون نجاح ، ولكن اعظمها مرارة في نفسه انه هجر الادب ! وما كاد يفوه بجملته الاخيرة ، حتى وضعت يدي على فمي إحاذر ان تبدو ضحكتي العابثة ، وقد والله ردني بهذه الكلمة الى قديم ذكرياته معي ، وهي ذكريات كانت محجوبة في اغوار اعماقي لا اكاد احس بها ، حتى نطق بجملته ، فكأن قمقما صغيرا كان موصدا ، وقد فتح فجأة ليخرج منه دخان يمتد ويستطيل كما تقول الاساطير حتى يكون عفريتا عابثا، هو ذكرياتي معه التي انتفضت فجأة من مكمنها لدي . ثم الحت علي ان اجلوها من ظلام الغيب الى ضياء الشهادة ، وهأنذا افعل .

كنا في اوائل الامر بعينيات طلبة بمعهد الزقازيق الثانوي ، وكان صديقي كمال معي في فصل واحد ، وقد اخذ يحمل كل يوم كتابا جديدا يعرضه علينا في مباهاة زاعما انه قد قضى الليل في قراءته ، فاذا جاءت دروس التعبير الشفوي ، فان له فيها مكان التصدر ، اذ ما يكاد المدرس يعلن عن موضوع اليوم ، حتى يرفع كمال اصبعه طالبا الحديث ، وله ــ علم الله ــ براعة باهرة في ان يقرأ من محفوظه جملا لا تمت الى الموضوع بسبب ، وله في استعراضها مباهاة ، وكأنه يتكلم في صميم الصميم ، والاستاذ مبتسم مشجع . لا ادري الانه يعجب بالمحفوظ دون نظر الى الموضوع ، او لانه لا يجد متكلما سواه !

وكان سبوقا الى شراء المجلات الاسبوعية من ادبية ومصورة ، وهو جواد كريم يهديها لزملائه ــ بعد قراءتها المزعومة ــ باذلا نصائحه الامينة في وجوب القراءة والاطلاع وضاربا المثل الاعلى بنفسه ــ وبنفسه وحده بالذات ــ وقد يهديك مجلة كالثقافة فتسأله عن جيدها المختار ، فلا يكاد يجيب بغير اسماء الكتاب ، اما ماذا كتب احمد امين ومحمد عوض محمد وفريد ابو حديد وطه حسين فهذا لا علم له به ، ولا ابخسه حقه ، فقد كان يقرأ من القصائد بيتين او ثلاثة ، فاذا وجدت قصة ، قرأ عمودا منها وقال انه يعرف الخاتمة ويتأكد منها ، فلا داع .

ولم اكن في مبدأ عهدي به حريصا على مودته ، برغم هداياه المشجعة ، ولكنه دعاني مع بعض الرفاق الى منزله لنسمع ام كلثوم في اغنية جديدة تذاع بالراديو ، فذهبت دون حافز قوي غير مراعاة اللياقة ، وكان الزميل كريما كل الكرم في احتفائه بنا ، مع اننا عشرة من الزوار ، وعشرة كثيرون على ميزانية طالب يأخذ من والده بحساب محدود ، ولكن كمالا اسرف وبالغ ، وما اشك في انه استدان ليهيء من الطعام ما لذ ، ومن الفاكهة ما طاب ، ثم جاء دور الاستماع ، وكانت الاغنية مشجعة ساحرة ، فرأيت من كمال ما لم اكن اتوقع ، بل ما لم اكن اظن انه يوجد عند الاستماع ، فقد اخذ يصفق تصفيقا مزعجا ثم يصيح صيحات مدوية ، وهو لا يقوم الا ليقعد ، ولا يقعد الا ليقوم ، وله تمايل وارتجاج كسرت معه اقداح الشاي ! ولا ادري لماذا استظرفته منذ الليلة ، وخف على قلبي حديثه ، أذلك لانه ساذج بريء ، يبدي صحيفة قلبه دون غلاف ، ام لانه كريم سماح ؟ لا ادري ، وكل ما اعلمه اني اصبحت اوده واحبه ، ولا اكاد انسى مجلسه الغنائي ؛ واذكر اني كنت اقرأ بعد سنوات من هذه الليلة كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، وهو كتاب لا امل قراءته مهما استعيد ، فوجدته يتحدث عن متصوف يسمى ابن فهم فيقول عنه ج٢ ص١٦٦ ط بيروت « ولا طرب ابن فهم الصوفي على غناء « نهاية » جارية ابن المغني اذ اندفعت تقول :

ودعته وبودي ان يفارقني . صفو الحياة واني لا اودعه

فانه اذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الارض ، وتمرغ في التراب ، وهاج وازبد ، وتعفر شعره ، وهات من رجالك

من يضبطه ويمسكه ، ومن يجسر على الدنو منه ، فانه يعض بثيابه ، ويخمش بظفره ، ويركل برجله ، ويخرق مرقعته قطعة ، ويلطم وجهه الف لطمة في ساعة ، ويخرج من العباءة وكانه عبد الرازق المجنون .

اقول : لقد قرات حديث ابن فهم ، فطار ذهني الى ليلة كمال ، حين كسر الاقداح جميعها واراق الشاي على البساط ، ثم اخذ ينعر اعلى النعرات ! وكل من كل قريب.

ومهما يكن من شيء فقد اصبحت صديق كمال ، واصبح يؤثرني باحسن ما لديه من كتب ، وبأثمن ما يملك من ود واخلاص .

ثم انتقلنا الى القاهرة ، وقد فتح الله عليه باب الرزق من حيث لا يحتسب ، فاضيفت اليه اعمال حكومية بوزارة الاوقاف ، وباحدى الصحف اليومية ، جعلته يعيش عيشة مرفهة بالنسبة لايام الزقازيق ، وكنت في كلية غير كليته ولكنه ، آثر صحبتي ، فكان ينتظرني عند باب الكليـة ، لاتناول الغذاء معه في منزله ، في اكثر الايام ، وكنت لا اتركه الا بمشقة جاهدة ، اذ له في كل يوم ابيات شعرية يجب ان استمع اليها ، وان اتناولها بالتنقيح قبل ان تظهر في صحيفة مسائية ، كانت تشجع الناشئين ، متى صححوا الوزن العروضي، ولا عليها بعد ذلك أيستقيم المعنى ام ينحرف ، ولصاحبنا بها ولع فخور ، فهو يتحدث عن اهتمامها بشعره ، وانتظار القراء اياه في شغف ، ومن حقه ان يقول ، ومن حقي ان اسمع .

وكانت الطرفة اللطيفة في ايامه تلك ، ان الحظ قد اسعده بجارة يفتح نافذته فيراها تجاهه ، وكانت شابة لا تزال في سنتها الجامعية الاخيرة ، ومن عادتها ان تخرج الى الشرفة اصيلا فتجلس مع كتاب جامعي تحصل معانيه ، وقد نظر صاحبنا ذات اصيل فوجد الفتاة الرشيقة والكتاب الانيق ، وكان عاطفيا عنيف العاطفة ، فهام بجارته على البعد وتخيل ان محاسن الغانيات جميعها قد جمعت فيها ، وشغلت عقله شغلا نسمع عن مثله في كتب العشاق فلا نكاد نصدق ، ولم انس انه حبسني بمنزله بعد الغداء حتى يحين الاصيل لاراها واحكم عليها ، وكنت فتى مشغولا غير فارغ ، فحاولت ان اعتذر دون جدوى ، فقد هاج كمال وماج ، واتهمني في اخلاصي وقال عبارة لا زلت اضحك منها للان : ما هذا يا اخي ! لو كانت لك حبيبة في اسوان وعرضت علي ان اسافر لاراها لرحبت وما امتنعت ! الا تنتظر ساعة ! الا تنتظر ساعة ! هذا عقوق .

ثم حان الاصيل واشرقت غادته الجميلة ، واشهد انها كانت رائعة فاتنة ، ولا ادري اي حظ شاء ان تجلس ومعها نسخة من الجريدة المسائية ، التي ينشر فيها كمال منظوماته ، فابصرت صاحبي يقفز ويخطو في الحجرة ، وهو يقول : هي تعرفني ! هي من قارئاتي وقرائي ، ثم خرج الى الشارع ، وجاء وهو يحمل من اكياس الفاكهة ما يحتاج الى جماعة كبيرة لا الى شخصين اثنين ، واخذ ياكل ويتحدث ، وقد برقت اساريره ، ولمعت عيناه ، ويصيح في شغف : هي تعرفني ، يا فضل الله !! يا كرم الله ! اليس كذلك ! فاضطر الى السكوت ، فيصيح : لماذا لا تشاركني ؟! واذكر انه قال : اتحسدني يا اخي ! تكلم .

والح الهوس بصاحبي ، فاخذ اجازة من كليته ومن عمله في الاوقاف والجريدة معا ، واخذ يحاصر اياما باب العمارة التي يشرق فيها وجه حبيبته ، حتى رآها تنزل وتسير ، فتابعها جاهدا حتى عرف انها تقصد دارا لجماعة نسائية تضم بعض الشابات والشبان ، فدخل متحمسا وقدم نفسه للمجتمعين ، فهو محرر صحافي ، وطالب جامعي ، وموظف حكومي ، وشاعر مجدد له روائع غنائية، وفي المجلس عرف اسم صاحبته ، وعلم انها ستلقي محاضرة عن مستقبل المراة بدار الجماعة . فرجع في المساء وبصدره من الخواطر امواج تتزاحم وتتدافع ، واخذ يبحث عني في كل مكان حتى وجدني ، ولا تسل عن ليل طويل انقضى في حلم مديد من احلام اليقظة كان صاحبنا فيه فارسا شاعرا عاشقا ، وكانت ليلاه ملاكا سماويا يهبط عليه من عليائه ليغمره بالدفء والحنان !

وكان كمال اول من خف الى سماع المحاضرة ، وقد دعاني ان اصحبه فقام من الاعذار مايمنع ، فذهب وحده ورجع في ثورة جامحة ، وقد اخذ يجمع كتبا تتحدث عن المراة العربية ، ورسالتها في الحاضر والمستقبل ، وحين سالته عن مصدر اهتمامه بموضوع لم يكن في اتجاهه من قبل ، ذكر انه اتفق مع الهيئة الادبية بالدار النسائية ان يلقي محاضرة قريبة الموعد يعارض فيها ما ذهبت اليه الفتاة الجامعية من راي ، حيث تحيفت المراة العربية في القديم تحيفا شديدا ثم قال : وقد سرت صاحبة المحاضرة حين علمت اني ساقوم بالرد عليها ، وستعقب علي دون نزاع ! لقد صرنا اصدقاء .

طلب كمال ان اساعده في اعداد المحاضرة فاعتذرت وكان متسامحا فلم يغضب ولم يعتب ، ولكنه طلب ان يقراها علي بعد كتابتها ! واهون بذاك ، وشغل الاديب المحاضر نفسه اسبوعين ليل نهار ما بين قراءة وتسويد وتبييض حتى استقام له ما يحتل ست صفحات !! وطار الي ليقرأ ، فوجدت اسم صاحبته في كل سطر من سطور المحاضرة فهو يقول دائما ما ينحو هذا النحو : تقول الانسة س ولكن الانسة س على ان الانسة س ومن راي الانسة س ، بحيث لو جردت اسم الانسة من الصفحات الست لصارت ثلاثا فحسب !! واعجبت واعترضت ،ولكنه صاح بي : انا لا يهمني ارضاء الجمهور ، بل ارضاؤها هي ! وستحبني حين تجدني اترنم باسمها في كل سطر ! وتوقعت الفشل لصاحبي ، فامتنعت عن مصاحبته ليلة

المحاضرة منتحلا بعض الاعذار ، ولكنه اشترط ان القاه بعدها في الليلة نفسها بمنزله ، لينبئني بما كان .

وكانت ليلة !! ليلة نابغية بالنسبة لي وحدي ، فقد كثر هذيان صاحبي حتى ما يطاق ، فهو يزعم انها كانت تبتسم وتتطلع اليه حين ينطق باسمها ، وانها رات المعارضة بابا من ابواب المداعبة ، فهو يناقشها امام الناس فقط ، ولكنها بين نفسها تعلم انه يعبر لها عن عميق الوجد ، وشديد الهيام ، وقد صافحته بعد المحاضرة ،ولم تشا ان تعقب كيلا تفضح عواطفها ـ هكذا قال ! ـ وحين طلب رايها ذكرت انها ستحضر الى دار الجمعية يوم الخميس المقبل لتناقشه في جلسة هادئة ! ومعنى ذلك كله في راي كمال ان المناقشة لم تعد تدور حول المراة العربية ولكن حول قلبين يتعانقان !

ثم هذر صاحبي واشتط ، وجعل ياتي من الحركات ما يدل على قلق لا يسكن ،وذهب ليصنع الشاي ، فصحت به أاشرب الشاي في الثانية عشرة ؟ ومتى انام يا اخي ، فقال في لوثة ، لا نوم لك ولا لي ، انا في حاجة الى مستشار !! وكظمت غيظي مطرقا ، فاراد صاحبي ان يتجه بالحديث الى ما يروقني فسال ؟ هل تعرف من الشعراء من قال شعرا في جارته الحبيبة ، وكان سؤالا لا يجد الرد ، لان ذاكرتي لم تسعفني بشيء ، فاعاد السؤال متعجبا ان اقضي عمري في حفظ الشعر ثم لا اسعفه بما يريد ، وقد فتح الله علي ببيت واحد من شواهد النحاة يقول صاحبه :

وما علينا اذا ما كنت جارتنا ... الا يجاورنا الاك ديار

فلم يهش له صاحبي ، وقال هيا لمكتبتي نقرا الدواوين فسنجد فيها ، وعلمت ان المحنة ستطول ، فحاولت ان اجهز عليها ، فقلت له : اسمع يا اخي ، لقد احب الامير الفارس الشاعر ابو فراس الحمداني جارته كما احببت جارتك ، وقال فيها شعرا رائعا اتذكر منه قوله :

ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا ... تعالى اقاسمك الهموم تعالى
معاذ الهوى لا ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت يوما عليك ببالي

وانا اعلم جيدا انابا فراس لم يعشق جارته ولم يخاطب فتاة ، بل خاطب حمامة سمعها تشدو بجانبه وهو اسير ، فظنها تنوح فهتف بقوله :

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ... ايا جارتا لو تعلمين بحالي

اعلم ذلك ، ولكنني اريد ان انجو من صاحبي، ومن مراجعة الدواوين التي تملأ مكتبته دون ان يقرا فيها حرفا، فاضطررت الى ان اصرف قول ابي فراس الى ما يريد ، ومن حسن الحظ ان الشعر قد اعجب صاحبي فجعل يرفع عقيرته بقول الشاعر: ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم » واخذ يترنح ويصفق ويقفز ويقع ، وهو بعد لا يتجاوز حجرته ، ورأيته يفتح الشرفة فجاة في الساعة الثانية من الصباح والناس هامدون والحركة ساكنة ثم يصيح « أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا » وتوقعت الكارثة حين يتنبه النائم ويتحدث الناس . فرأيت ان اخاطب المجنون خطاب العاقل ، فترفقت بكمال ،وصحت به اين ذهب عقلك ؟ ان صاحبتك تريد ان تحتفظ بالسر فلا يذاع وستفضحها بين اهلها لا محالة ، فيحولون دون لقائكما ، بالله عليك الا رحمتها في حبها الصامت وعاطفتها المكتومة ! انت شهم ، ولا بد من التضحية يا اخي ، فسكن ثائره ، وعاد الى مجلسه ، وان راسه ليغلي وان صدره لينفجر !

مضت ساعة وامواج البحر تتلاطم في نفس صاحبي، وقد ظهرت عليه اعراض اللوثة وتهيأ للقفز ، فخفت ان يفتح النافذة ويعيد الكرة ، فقلت له : من انت اذا ذكرت شجون قيس وجميل وكثير يا كمال ، كان العاشق من هؤلاء يضيق بحبه في الظلام كما تضيق الان ، فيترك البيت الى الفضاء لينظم خواطره في هداة الصحراء ، وانت عاشق شاعر فهلم الى النيل بالجزيرة وسكن ثائرتك بما تشغل به من نظم يصبح حديث الرواة وسلوى القارئين، وكان كلامي صادف القبول ، فصاح كمال : الجريدة مستعدة للنشر ، ومعي الورق والقلم ، قلت وعندك انبل العواطف واحر المشاعر ! وما اسرع ان ارتدى الحلة وصحب الورق والقلم ، وخرج في الثالثة قبل الفجر الى النيل، واخذت مرقدي لاستريح ! فاذا كان الصباح غادرت المنزل وحيدا دون ان يرجع العاشق الاديب .

مضت ايام اربعة ، وجاء الي صديقي ثائرا مهتاجا ، فهدأت من روعه ، واخذت اساله عما حدث وجد ، فقال في ثورة ، قابلتها اليوم بدار الجمعية كما اشارت من قبل وقد حدثتني باستهتار ، وقالت : لقد اضحكتنا ، لم تكن محاضرا ، بل كنت بهلوانا ، فلم اطق صبرا ، خرجت دون انتظار ، فسمعت ضحكات الزملاء والزميلات ترن في اذني فكانت اشد علي من وقع السهام !

قلت وماذا تصنع ؟ فقال : ساهجوها بشعر انشره في الجريدة المسائية دون ان اشير الى اسمها ، وستفهم انها المقصودة ، فادرك ثاري واستريح ! ورايت الحل سهلا ميسورا ، وهو بعد مامون العاقبة فوافقت ، وتعهد صاحبي الا يفتح الشرفة من الان اذ اذهب الله عنه رجس الشيطان !

هذه قصة صاحبي ذكرتها فجاة حين اعلن الي انه (هجر الادب) لاني اعرف جيدا انه هجر الأدب من يوم ان نظم قصيدة الهجاء ، ثم ذهب بها الى رئيس التحرير فصاح به ! ما هذه الركاكة ، لست شاعرا فكيف تعد نفسك مع هؤلاء !

الرياض ـ كلية اللغة العربية ... محمد رجب البيومي



عبد المجيـــد لطفي

عبد المجيد لطفي بمناسبة بلوغه السبعين

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *

كلما فكرت في انامل عبدالمجيد لطفي الكاتب والاديب والقاص العراقي تخيلت دماغا كامنا في كل انملة من انامله ... وكلما فكرت في الفاظه ومنطقه ايقنت ان من الذهب ما يمكن ان يكون غير مرئي ولكن ذا جرس ورنين.

لقد قضت هذه الانامل اكثر من نصف قرن وهي تكتب فرأيت من اقل حقوق صاحبها علي ان احتفل ولو لوحدي بيوبيله الذهبي ، لئلا يقال عني يوما بانني عاصرت عبدالمجيد لطفي ولم اكتب عنه .

لقد بعث الي مؤخرا بمجموعةمن كتبه ليبعد الوحشة عني وانا في ارض الغربة ، في هذه الصومعة النائية عن أرض الوطن ، فوجدت فيها كل قدسية لما يربط الانسان بالتربة التي كونت كيانه وصاغت مثاله .

كانت الرزمة تضم مسرحية بعنوان « ضجة النهار» وقصة بعنوان « عيد في البيت » وقصائد من الشعر المنثور بعنوان : « تصابي الكلمات » وريبورتاجا صحفيا بعنوان: « خمسة ايام في المربد مع الشعر والثورة ».

وهكذا لمست في هذه الكتب الاربعة عبد المجيد لطفي كاتبا مسرحيا ، وقاصا ، وشاعرا وصحفيا فاية متعة هناك تعدل هذه المتعة ؟

وكانت المسرحية اول ما لفت نظري فانا في هذه الايام اشوق ما أكون لقراءة المسرحيات ، ولكتابتها ايضا في بعض الاحيان . هزني قبل كل شيء اهداؤها الى الصديق الفقيد الاستاذ عبدالسلام حلمي الذي ذهب ماسوفا عليه قبل ان يتم رسالته الادبية كما ينبغي ؛ وعلى حين غفلة !

واعجبتني فيها هذه النكتة الشكسبيرية التي لا تخطئها مطلقا فهي تنظر الى مسرحية « هاملت » من بعيد، وفيها كذلك الرعب القاتم الذي تلمسه في بعض مسرحيات الكاتب المسرحي النرويجي ابسن .

وكم كان بودي لو ان الاستاذ لطفي قد جعل عنوان المسرحية « انتقام الشبح » بدلا من « ضجة النهار ».

وايا كان الامر فالمسرحية من المسرحيات القومية الممتازة ، وتتالف من ثلاثة فصول والمنظر الختامي من أهول واروع مايكون اذ تتحرك التربة التي دفن فيها الحارس القتيل وتخرج منها ذراع ملطخة بالدم وبهت الكل امام المعجزة ... معجزة ان تتحرك الارض ... وان تنبت ذراعا ، ذلك لان الحقد احيانا اقوى من الحياة ، وتشتد الضجة في الخارج حتى تصل البهو ثم يندفع الباب ويدخل الحارس وقد تلطخ وجهه بالدم وذراعه بالدم والتراب، وسيفه ما زال في منتصف صدره ، فيحاول (جلال) الذي حرض شبح فتاة على قتله فارتكبت الجريمة مكرهة، يحاول ان يهرب ولكن الحارس يتهادى مترنحا ويدنو من (جلال) حتى اذا ما غدا قيد خطوتين منه يستل السيف من صدره ويغرسه في صدر (جلال) في مثل لمح البصر .

وككل مسرحية ناجحة تكون النهاية سريعة حاسمة، تنتهي بثلاث عبارات قصيرة : « اغلقوا الابواب ... لقد صرنا الان ثلاثة ... ثلاثة أشباح لن تموت !»

وليست هذه باول مسرحية يكتبها الاستاذ عبدالمجيد لطفي فقد سبق له ان نشر مسرحية « خاتمة موسيقار » وهناك ست مسرحيات اخرى تنتظر النشر وهي : « كرة الثلج » و « الريح الرمادية » و «ملح على بعير» و « مقطوع الاذن » و « الكياسة الخرقاء » و « المقصلة المجنونة »، ويمزج الكاتب عادة الرمزية بالواقعية بشيء غير قليل من البراعة وهو في اكثرها اشبه ما يكون بابسن كما سبق ان ذكرت .

واذا كان في واقعيته الرمزية كبير الشبه بالكاتب النرويجي فهو بكثرة ما سود من صفحات منذ خمسين سنة كبير الشبه بالكاتب الفرنسي « هونوريه دي بلزاك » الذي كان يجلس في الساعات المتاخرة من الليل ليشرب القهوة ويسود الصفحات ويقذف بها وراءه حتى من دون وضع ارقام عليها فياتي سكرتيره في الصباح ليرتبها ويسلسل ارقامها ويبعث بها الى المطبعة .

اما عبدالمجيد لطفي ـ بلزاك العربية بحق وحقيق ـ

فليس حظيظا كبلزاك الفرنسية اذ يسود الصفحات دون ان يجد لها ناشرا، وهذا سوء حظ الكثيرين من كتاب العربية، واعتقد انه سياتي اليوم الذي سيتعب فيه عبدالمجيدلطفي الباحثين في ادبه رواية وشعرا ورسائل ، فقدكتب من غير مبالغة الالوف من الرسائل للعديد من الاصدقاء شرقا وغربا فانا وحدي اختزن ما يعادل مجلدا ضخما من رسائله منذ عام ١٩٣٤ حتى اليوم .

انني بكلمتي هذه لا اريد ان اجشم قراءه عناء الاحتفال بيوبيله الذهبي فقد مضى عليه اليوم اكثر من خمسين عاما وهو يكتب ويؤلف من غير انقطاع وقد مر زمن ما كنا فيه نفتح مجلة او صحيفة الا ونجد لعبدالمجيد لطفي فيها قصة او قصيدة او رسالة او تعليقا .

اقول لا اريد بكلمتي هذه الدعوة ليوبيل ذهبي لهذا الكاتب النابغ ... بل لمجرد ان اذكر قراءه بحلول مثلهذه المناسبة التي كثيرا ما انتهزت في بلاد الغرب لتكريم من هم اقل كفاية وانتاجا من عبدالمجيد لطفي ولكنهم امتازوا عليه بانهم ولدوا في بلاد تعرف كيف تقدر حتى اقل الادباء شانا .

ويكفي انني ابرات بعض ذمتي امام التاريخ بان احتفلت بمثل هذا اليوبيل بهذا المقال .. فليكن معبرا عن راي الكثرة الكاثرة من محبي عبد المجيد لطفي ومقدري ادبه .

ومن الطريف ان اديبنا بدا بالشعر المنثور يوم اصدر اول كتاب سنة ١٩٣٦ بعنوان « اصداء الزمن » وعاد به الحنين اليه بعد خمسة وثلاثين عاما فاصدر كتابه«تصابي الكلمات » (نشر سنة١٩٧١) الذي يعيد الى الاذهان ذكرى تاثره بجبران..وقدكتب ابلغ كلمة عن جبرانيوم نشر مقاله الرائع : « دمعة على جبران » ، وهكذا يعاوده الحنين في شيخوخته المباركة الى جبران من جديد ، فيبدع ما شاء الله له الابداع متاثرا برمزية جبرانبصورةمباشرة وبرمزية « وليم بليك » بصورة غير مباشرة ، ذلك لان جبران نفسه كان من اخلص تلامذة بليك BLAKE ومنتهجي اسلوبه ، سواء في الكتابة او في الرسم .

اما قصته « عيد في البيت » فهي مبتكرة حقا ، اذ هي حوار متشعب ، منوع القسمات بينه وبين حسناء اسمها « سيمون » ويجري الحوار خلال الايام الاربعة لعيد الاضحى وقد خصص لكل يوم فصلين ، ويكاد المرء يتصور ان مناغية الاديب ونجيته هذه فتاة حقيقية حتى يبلغ الفقرة الاخيرة فاذا بالمتحدثة تفصح عن هويتها بانها مجرد صورة ملونة كبيرة علقها اديبنا في غرفة الضيوف التي تعرضت سنة ١٩٦٠ لغزوة طائشة بالحجارة والطين من بعض الصبية النزقين فاصابها من جراء ذلك رشاش مزق طرفا من شعرها اللطيف !

وارى ان عبد المجيد لطفي خلق للحوار ولابتكار الاستعارات المذهلة بجمالها ... كما انه خلق ليكون معلقا صحفيا بارعا من الطراز الاول ، فلقد قرات الثمانين صفحة التي دونها من الايام الخمسة التي قضاها في مؤتمر المربد سنة ١٩٧٢ ولكانني اعيش في المؤتمر ، واشخاصه ومظاهره مجسمة حوالي ... انه بديع جدا . قرات الكراس اكثر من مرة ، وانا الان احاول نسيانه ، لاعود فالتذ بقراءته من جديد .

اكسفورد — صفاء خلوصي

طفلتي

★

والموت علي تقول هناك
واين هناك .. ولم لا نعود
تقولين كان لنا منزل
وارجوحة بين عبق الورود
وكنا نغني فيشدو الزمان
على لحن ناي وتوقيع عود
فلم لا نعود ؟ ولم لا نعود..؟

حبيبة ماما وما تفهمين
وما تفهم السبع من مجريات
ومن ذا يعلمك غدر الزمان
وانت ملاك نقي الصفات
لقد اصبح المنزل المستحب
لنهم واضعنا اماني الحياة
فكيف نعود ؟ واين نعود..؟

وتمضي تفكر ثم تجيء
ببشرى اكتشاف ذكي جديد
وتسال ... هل لو تجمع
كل((بوليساتنا))ومن كل قطر بعيد
وساروا لكي ينقذوا بيتنا
الا ينقذوه بعزم اكيد..؟
حبيبة ماما .. بماذا اجيب؟

الرابية – لبنان — اسمى طوبي



عبد العليم القباني

يوسف فهمي الجزايرلي
اديب الاسكندرية ومؤرخها

١٨٩١ - ١٩٧٣

بقلم عبد العليم القباني

* * *

كتب المرحوم الاستاذ « صديق شيبوب » بالعدد الصادر يوم ٧ اكتوبر سنة ١٩٦١ من جريدة « البصير » السكندرية الكلمة التالية :

« للاستاذ يوسف فهمي الجزايرلي ، مكانة خاصة في اوساطنا الادبية بالاسكندرية فهو اديب اريب ، ومؤرخ بحاثة وشاعر ملهم ، وهو كذلك من مؤسسي جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية ، ومن اعضائها البارزين ، وامين صندوق الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالمدينة ، وهو - فوق هذا وذاك صديق لجميع الادباء ، حبيب الى قلوبهم ، قريب الى نفوسهم ، وقد بلغ الاستاذ يوسف او - بابا يوسف - كما يدعوه اصدقاؤه ومريدوه - مداعبين - السبعين من عمره (وقتئذ) يوم الخميس الماضي فاقام حفلة بمنزله حضرها الخاصة وفي مقدمتهم محمد المفتي الجزايرلي وزير الاوقاف السابق والاستاذ محمد خلف الله احمد عميد كلية الآداب (وقتئذ) وبعد تناول الشاي قدم له صديق شيبوب هدية زملائه ثم القى الشعراء عثمان حلمي وادوار حنا سعد ود. حسن ظاظا وعبد العليم القباني واحمد حسين شحاتة ، قصائد في هذه المناسبة الطيبة » .

تلك كلمة قصيرة لكنها توحي بما كان يتمتع بـه الاستاذ يوسف فهمي الجزايرلي من مكانة ادبية في مدينة الاسكندرية التي فقدته مساء التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٧٣ .

وسأحاول في هذه العجالة ان اوجز حياته الادبية ما استطعت مع الالمام بشيء من حياته الوظائفية التـي تساعدنا على فهم حياته معا .

فمنذ مائة وثلاثين عاما ، وبعد الهزيمة التي لحقت بالمجاهد الكبير الامير عبد القادر الجزائري امام جيش الاستعمار الفرنسي لجأ الشيخ محمد المفتي الجزايرلي الى الاسكندرية حيث عين مفتيا بها ويرجع لقبه (الجزائرلي) الى انه كان من سكان الجزائر المدينة العاصمة وفي اليوم الرابع من اكتوبر سنة ١٨٩١ استقبل السيد احمد بن يوسف بن الشيخ المفتي وليده « يوسف » اديبنا الكبير فيما بعد ، ويروي لنا الاستاذ يوسف فهمي في كتـابه « الاسكندرية في فجر القرن العشرين » صفحات تفيض بمرح الطفولة وعبثها كما تعطينا ملامح واضحة عن الحارة التي ولد بها وامضى فيها طفولته وصباه ، وعن حي راس التين ، ذلك الحي العتيد من احياء الاسكندرية .

تلقى الاستاذ يوسف فهمي تعليمه الابتدائي بمدرسة ابراهيم الاول ، ودرس جانبا من التعليم الثانوي بمدرسة راس التين ، غير انه لم يتم هذه الدراسة لضعفه فـي الرياضيات ومن ثم اختار له اهله ان يلتحق بالمدرسة الفرنسية بالمنيرة ، حيث حصل على معادلة البكالوريـا الفرنسية ١٩٠٩ ومن ثم عين موظفا ببلدية الاسكندرية .

وفي سنة ١٩١٤ سافر الى الجزائر ، ثم انتسب الى كلية الحقوق بباريس حيث حصل على درجة الليسانس في القانون ١٩١٨ .

ثم رجل الى الاسكندرية سنة ١٩١٩ حيث اعيد الى وظيفته مترجما بقسم الايرادات اذ كانت اكثر اعمـال البلدية - في ذلك الوقت - تتم باللغة الفرنسـية ، كما كان في الوقت نفسه يقوم باعمال الاختزال الفرنسي لجلسات القومسيون البلدي .

وفي سنة ١٩٢٨ انتدبته وزارة المعارف مدرسا للغة الفرنسية بمدرسة الاميرة فائزة (محرم بك الثانوية للبنات الان) وظل بها حتى سنة ١٩٣٨ ، حيث عاد الى البلدية وكيلا لقسم الحسابات العامة ، فمديرا لادارة سكرتارية البلدية . ثم احيل الى التقاعد - بناء على طلبه - في ابريل سنة ١٩٥١ وكان قد وصل الى الدرجـة الثانيـة .

وفي ديسمبر ١٩٥١ التحق بالغرفة التجارية بالاسكندرية رئيسا لقسمي الترجمة والمكتبة ، فكان الى جانب قيامه بهذا العمل يقوم بكتابة المقالات الاقتصادية الضافية في الاقتصاد وينشرها بمجلة الغرفة وظل كذلك حتى انتهت خدمته بها ـ بناء على طلبه ـ سنة ١٩٦٤ .
ومما يذكر انه بعد ان استعفى من الخدمة ، ذهب مرة لاستلام مرتبه في المعاش من خزينة البلدية ، فطلب منه الموظف المختص شهادة عليها توقيع اثنين من الموظفين بانه (اي الاستاذ يوسف) لا يزال حيا ! ، فكان ان كتب الشهادة المطلوبة على « عرض حال » مدموغ بالصورة التالية :

الشاهدان على هذا بخطهما   يقرران قرارا ليس مشروطا
بان « يوسف فهمي » في تقاعده   ما زال حيا بقيد العمر مربوطا
بجوف حي « محرم بك » مسكنه   تلقاه في «الشارع المنصور»محطوطا

وقد اثارت قانونية هذه الشهادة ضجة بين الموظفين ، حتى اقرها الاستاذ امين خيرت الغندور وكيل البلدية (وقتئذ) وامر بايداعها ملف خدمته .

تلك هي الصفحة الرسمية لحياة اديبنا « يوسف فهمي الجزايرلي » اما الصفحة الادبية فتبدو لنا في مجموعة كبيرة من القصائد العربية التي تختلف اغراضها باختلاف ظروفها وقد نشر بعضها بالصحف والمجلات وبديواني ثوار والاسكندرية اللذين اصدرتهما الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب لعدد من شعراء الاسكندرية ، كما أن له بعض القصائد الفرنسية كان قد نشرها بالمجلات الفرنسية المحلية .

ويتمثل انتاجه العملي في كتاب ضخم عنوانه « ارض البطولة ... الجزائر » الذي اصدرته الهيئة المحلية في اكثر من ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ويتحدث فيه عن المعالم المختلفة للقطر الجزائري وكذلك عن تاريخه وكفاحه وترجمة بعض اعلامه . كما نشرت له « الغرفة التجارية » كتابا في (٢٥٠) صفحة بعنوان « الامة العربية وامكاناتها الاقتصادية » هذا وقد نشرت له « جمعية الآثار بالاسكندرية » كتابا ضمن سلسلتها « كراسات سكندرية » بعنوان « الاسكندرية في فجر القرن العشرين » كما نشرت « الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب » له كتابا بعنوان « صفحات من الادب العربي » وقد فارق فيه بين بعض ادباء العربية وبين زملائهم من ادباء الفرنسية ، كما نشر مجموعتين من اعلام الاسكندرية تقع كل مجموعة منهما في ثمانين صفحة وعلى ذكر هاتين المجموعتين ، نذكر انه قام بتاليف قاموس يضم تعريفا موجزا احيانا ومطولا احيانا اخرى لجميع المعالم والشخصيات التاريخية والمعاصرة والمعنوية التي اطلقت اسماؤها على شوارع الاسكندرية وحاراتها وتبلغ ٤٠٠٠ اسما تقريبا ويقع هذا القاموس في اكثر من ٣٠٠٠ صفحة كبيرة ولم ينشر منه غير المجموعتين اللتين اشرت اليهما غير ان محافظة الاسكندرية قامت بطبع فهرس هذا القاموس واتخذت منه دليلا لشوارع الاسكندرية وازقتها ، وقد كان هذا الكتاب مصدرا لعدد من الاحاديث التي اذيعت من اذاعة الاسكندرية المحلية بعنوان «اسكندريات» .

و « بابا يوسف » بعد ذلك ، رجل اهزلته السنون ـ في ايامه الاخيرة ـ بعد امتلاء ، فبدا ضامر الجسم ضمورا يتناسب مع قامته التي هي الى القصر اقرب .

ومع ان تجاعيد وجهه كانت قد بدأت تكشف النقاب عن السنوات التي قضاها على ظهر البسيطة الا انه كان يستخفه الطرب اذا انتشى من سماع الشعر او الموسيقى والغناء فيمرح حتى يبعث مرحه في الآخرين ولو كانت الكآبة قد استبدت بهم ، وقد اشار الدكتور حسن ظاظا في قصيدته التي إلقاها في حفل تكريمه الى هذه الحيوية بقوله عنه أنه :

وارف الظل اخضر العود يهوى   دونه عاصف الزمان حطاما
لو تخلى ـ حاشاه ـ عن سنن التقوى   قليلا وفك ذاك الزماما
لفدت كل ذات عقد وقرط   وهي تهذي به جوى وهياما
لكن الله بالشباب عليم   اذ هداه الى التقى فاستقاما

وقد اشرت الى هذه الخاصية في قصيدتي التي القيتها في عيده السبعيني بقولي مداعبا اياه :

يا يوسفا يا ابن فهمي   لانت والله ... فرجه
ما زلت فينا فتيا   روحا وعقلا ومهجه
فلا شبابك ولى   ولا مشيبك رجه
كانما الشمس القت   عليك « سبعين » بهجه

ولقد كان لحيويته هذه اثرها في الاندية والجمعيات الادبية ، التي اشترك فيها او اسهم في تكوينها اسهاما جادا ، وقد اشار الشاعر السكندري المرحوم عثمان حلمي الى جهود يوسف فهمي هذه ، في قصيدته التكريمية بقوله :

وليالي الاسكندرية تدري   كيف نورت من دجاها الظلاما
دائب السعي في الذي ينفع الناس   شجاعا لا يعرف الاحجاما

وقد كان ـ رحمه الله ـ كاكثر الذين ينتمون الى اصول مغربية ، سريع الغضب ، وبخاصة اذا ظن ان في الامر ما يمس كرامته ، التي هو من احرص الناس عليها وتظهر هذه الحدة في النبرات العنيفة التي تبدو في شعره احيانا من مثل :

زد شقائي وكن لنيسم التشفي   اتبع الحيف ما استطعت بحيف
انزل السخط والمصائب ترى   فوق رأسي الى قيامة حتفي
لن تذل الصروف يا دهر نفسي   وهي عظمى ، ولن لتنخر انفي

وقد يرق احيانا في شعره وبخاصة حين يسترجع ذكريات صباه ، كما في قوله :

ذكريني يا جارتي واعيدي   ذكريات المنى ولو بالاشارة
قد نسيت الكثير منها فهاتي   ما وعى القلب والحجى اخباره
هل نسينا من (الصغيرة) ذيلا   و (الفياتكو) العريض يعلو قراره
لا ولا (عصبة) الشجر تزهو   (بركام) من (اوية) السناره
ذاك عهد فتنت فيه الأمارة   طوع امري .. وليتها يا جاره

ونختتم هذا الحديث بأبيات من قصيدته التي القاها

طالبة تودع مدرستها

من ديوان « من فلسطين واليها » المعد للطبع

في ظـل دوحتـك الظليـل رضعت ثـدي المكرمـات
وبرحيب ســـاحك كم رتعت مع الاصيل وفي الغداة
وقبسـت من انـوار هديك ما أنـرت به حصاتـي
مـا أنت الا منهـل الظامي ونـبراس الحيـــاة
تهدين للعلم الصحيـــح وللخلال الصـــالحات
وتنشئـين على الهدى والخير ناشئة البنـات
حسب البـلاد شقاؤهـا الماضي بجهل الامهـات
القـوم طـاروا في السمـاء ونحن نلعب بالكـرات
ومشـوا على سطح البحار ونحن نبحر في الشتات
وتدرعـوا درع الثبــات ونحـن نمعن في السبات
وتعلمـوا وتقـدموا حتـــى أتـــوا بالمعجزات
ألـــف الفتى منـا الخضوع فبـات يسخر بالاباة
وغدت فتـاة الحي تلهو بالحـلى والترهـات
أتراه يسعدنـا الزمـان ونقتـــدي بالفضليـات
ونـرى الفتـاة وهمهـا كسب العلا والمحمدات
« أسمـاء » ترضع شبلهـا حب الفضيلة والثبـات
وتحثه يحيـا عزيـزا أو يـموت على الظبـات
وتشب طفلتهـا عـلى آثـار أم المؤمنـات
فالعلم نـور سـاطع والجهـل أم المخزيات
والعلم أبهى حليـة تكسـو صدور الغانيات
أنـا لست أنسـى مـا حييت مديرتـي ومعلمـاتي
البـاذلات جهـودهـن لبث محمـود الصفـات
والمحرقـات نفوسهـن لنشر ضوء المكرمـات
والناهضـات لرفع طوق الجهل عن عنق الفتاة
اني اودعـــهن شاكرة وذا شكري المــؤاتي
واظـل اذكـر فضلهن وعطفهـن مـدى الحياة

حلب — محيي الدين الحاج عيسى

في حفل تكريمه والتي اوجز فيها الكثير مما صادقـه وعاناه في حياته التي أربت على أثنين وثمانين عاما مباركا :

حملت ثقيل العيب فالذل كاهلي — وما وجد الاذلال من نفسي الصدعا
وصارعت هوج الياس في أللواثقا — فالفيتها تجثو على قدمي صرعى
وصنت نقـاء النفس عن كل خسة — فلم ارض بالجاه الدنيء لها رفعا
وكنت ابا الابرار احببهمو جمعـا — وكنت قلى الاشرار امقتهم جمعا
وقدمت للاوطان من فيض فضلهـا — كفاحا على الايام ارهقني دفعـا
(شقيقين) كالغصنين زهراوروثقا — فحمدا لما اجدى الكفاح وما اوعى
يؤدي (فريد) واجب العدل منصفا — وما اطيب الانصاف للمتقى تبعـا
ويؤسي (سمير) علة الجرح مؤمنا — بان حماة الطب ارحمهم طبعـا

ويشير في الابيات الاخيرة منها الى ولديه فريـد وسمير واولهما من كبار رجال القانون وثانيهما من كبـار الاطباء في الاسكندرية .

تلك عجالة موجزة لحياة المرحوم الاستاذ يـوسف فهمي املاها علينا واجب الوفاء للرجل الذي خدم العلـم والادب والاسكندرية معا اكثر من نصف قرن من الزمان ثم اردنا خلودها على صفحات « الاديب » العزيزة لتضمن تعريف الرجل عند ادباء العروبة في مشـــارق الارض ومغاربها وليس « كالاديب » وسيلة لاداء هذا التعريـف.

الاسكندرية — عبد العليم القباني



حسن عبد الله القرشي

الشاعر حسن عبدالله القرشي

بقلم حلمي محمد القاعود

* * *

يعد الشاعر حسن عبدالله القرشي واحدا من عمد الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية وواحدا من شعرائها المبرزين والمشهورين . واذا اردنا ان نضعه في خانة الاجيال فهو من الجيل المخضرم الذي شهد احتدام الصراع الفكري بين القديم والجديد ، أو بين الموروث والمتجدد ... فكان لا بد من تأثره بهذا الصراع في تفكيره وابداعه جميعا. وسوف نرى بعد قليل نتيجة ذلك عندما نتعرض لاشعاره ...

ويعتبر شاعرنا من المكثرين في ميدان الابداع الشعري، فقد قدم لنا حتى الان عشرة دواوين شعرية ضمها ديوان كبير فيما بعد ، وهي : «البسمات الملونة ، مواكب الذكريات ، الامس الضائع ، سوزان ، الحان منتحرة ، فداء الدماء ، النغم الازرق ، بحيرة العطش ، لن يضيع الغد ، فلسطين وكبرياء الجرح ، وبالضرورة فان هناك كما اعتقد مجموعات اخرى سوف تصدر قريبا للشاعر منها « زحام الاشواق .» .

بالاضافة الى عالم الشعر فان لشاعرنا ابحاثا ودراسات واقاصيص نشر بعضها والبعض الاخر قيد الطبع والمنشور منها : دراسة عن « فارس بني عبس » ومجموعة ابحاث بعنوان « شوك وورد » واخرى موسومة « انا والناس » ثم مجموعة اقاصيص بعنوان «انات الساقية» وهناك كتب اخرى لم تطبع بعد منها : « حب في الظلام» ـ اقاصيص « ابو القاسم الشابي » دراسة ، «الشريف الرضي » دراسة ، « خطرات في الشعر والنقد » نقد بالاضافة الى روايتين ومسرحية شعرية اسمها « ثنيات الوداع » .

شاعرنا كما يبدو من شعره ، ومن تعريفه بنفسه أكثر انتماء الى الذات العربية لكل ملامحها ونقوشها الموروثة والمتعارف عليها . واكثر احساسا برصانة القدماء من الادباء والشعراء وايضا المعاصرين ، وسوف نراه محبا لعنترة العبسي والمتنبي والبحتري واحمد شوقي وابراهيم ناجي وابو القاسم الشابي والجاحظ والعقاد وسواهم. وان نذهب بعيدا فقد ورث الشعر عن ابيه ، وساعدته طفولته المنطوية على ذاتها في توفير المناخ الشعري بل الرومانسي لتزدهر واحة الشعراء في بيداء الجزيرة العربية على لسان الشاعر حسن عبدالله القرشي الذي اسميناه شاعر النغم الازرق لما في هذه « التسمية » من عمق رومانسي وشاعري وجمالي كذلك .

قد نستطيع بعدئذ ان نرد احتفاظه بتوهج شعري اصيل الى حفظه للقرآن الكريم في سن باكرة دون العاشرة كما يقول ـ وقراءته للبيان والتبيين حتى كاد يغرق في بحر « أبي بحر الجاحظ » .

بيد انه لم يقتصر على الاصول العربية في استرداد ثقافته بل قرأ خلاصة ما ترجم من روائع الادب الغربي لاوسكار وايلد وتوماس هاردي وبرناردشو واليوت وسانت بيف وفيرلين ورامبو وبودلير وفيكتور هيجو ولامارتين وجيته وروسو وكامو وسارتر وتولستوي واقبال والفردوس والخيام وغيرهم « ٢٣/٢٢ تجربتي الشعرية» .

ونظرة شاملة الى اشعاره توضح لنا انه يركز على موضوعين لعلهما من اكثر الموضوعات الحاحا بين ابياته. وسوف يتأكد لقارىء شعره ان الغزل او قضية الحب عموما تأخذ من اهتمامه الكثير .. بالاضافة الى معالجة القضايا الوطنية او القومية ومحورها « قضية فلسطين» .

ونظرة في غزله يبدو رومانسيا رقيقا يرى في محبوبه كل صفات ترضي الحبيب وتسعده وتشبع رغباته وامانيه .. بيد ان ما ينغص عليه صفوه هو ما يثور بينه وبين المحبوب من صد وهجر وأسى وجحود وقد نراه يبكي قلبه الطعن وشوقه الدفين في استسلام واستعطاف ينتهي بالرفض لهذا الحب المهين وعودة الى احترام ذاته وكرامته :

حبيبتي اراك تهزلين ... بقلبي المكبل الطعين
وحينما حييتك في المساء ... عيناي في وجديها حنون
لم تحفلي حبيبتي تحيتي ... ولم تحسي شوقي الدفين
وحينما تراكضت خطاي ... خلفت تحميك من السكون
هتفت بي مغضبة روعتني ... روعتني وسرت لا تعين
حبيبتي لكنني اراك ... لكل ذي عينين تبسمين

حبيبتي اهـــواك يـــا حبيبتي   لا توغـــلي في صدك المهـــين

برئـــت من هواك ياجاحـــدتي   فلـــم تعـــودي منهل الحنـــين

ونعثر في تجربة الغزل على غرام حي قد يبدو في أيامنا غير ذي موضوع ولكن عطاءه الشعري فيه لمسة عبقرية من الفن اصيلة ، وسوف نرى قصيدته « سعال الليل » تعبر عن تجربة حية ومتكاملة رغم فحيح الجنس وشهوة الصبابة تذكرنا احيانا بنزار قباني :

تعـــا تعـــال
فقـــد عطرت امسيتي
وصدري فيـــه اسرار
يبوح بهـــا اذا حنت
ونهدي .قـــد شكـــا
من ضمـــــه المحزم
تعـــال فليس في حقلي
نجـــوم ليس من اضواء
تعـــال فليلنـــا قصـــة
وفرحـــة نشـــوة كبرى

ويثملن نـــدى الصـــوت
سرى كشرارة الفجـــر
ولكني كعنـــترة
صبـــور لحظة المـــوت
اريد اعـــانق الشلال
في اوج الصبـــابة
اريد ازعزع الاغـــلال
اريـــد اعيش كالمـــوج
اريـــد اشرق كاللاخ نهر الصمت
اريد اعيش في احضـــان العاصفة

ومع ذلك فاننا نراه يتحدث عن الحب كنار مقدسة طهرته ليقبل عليها ووجهه كنور الصباح :

انا فذ الوفاء طهـــرني الحـــب   ونـــور الصبـــاح ملء جبيني

وعندما يتحدث عن هذا الحب فانه ينتـــقل الى فيلسوف ذي خبرة وتجربة حكيمة ليعبر من خلال الحياة فيراها مزرعة للحب اذا هشت او مهلكة له اذا عبست : وفي الابيات التالية قد نذكر « ابراهيم ناجي » في حبه وصبواته واســـاه :

غنى الهوى فامتزجنا نحن الفنية   الفاظها لهـــف يسري به النغم
كم في تفاعيلها آهـــات مغترب   في قلبه ثورة الاشـــواق تضطرم
ورفرف الصمت لا همس ولا وتر   ولا ابتســـام ولا ينس ولا كـــلم
عدنا معا تمثالـــين قد نحتـــا   او مثل طفلـــين قد اشجاهما ندم
ما بـــين هدهدة الالحان صاخبة   وبـــين الصمت كلينا اوراق الالم
يا للحياة اذا هشت فمزرعـــة   للحب او عبســـت فاليأس والسأم

ورغم اهتمامه بالجانب الغزلي في صورته المجـــردة والحسية الا انه يستطرد في لمحات كثيرة الى الحديـــث عن ذاته باشجانها الخاصة ورؤاها الفردية ، وتصوراتها الفكرية ... وهي لمحات تعبر عن ذات ملئت بالاسى المرير والالم المضني وقد يعتبر ماضيه وحاضره وغده مجـــرد خرافة ووهما كاذبا .. ونعثر بين طيات قصائده على حديثه عن ابعاد روحه الموحشة وايامه التي توغل متاهة ليل اسود .. وسوف يصطلي القارىء بكل هذا دون هواه:

لا وحي في شبابتي
لا لحن لا غنـــاء
شبابتي اخرسها الالم

وفي قصيدته « قلق » يستطرد في اسهاب بليـــغ ليتحدث عن اشجانه في المستقبل والحاضر والامس :

مستقبلي ؟
خرافة اعيشها في حاضري
وحاضري ؟
اسطورة يلفظها ماضي وهما كاذبا
مهامها خرائبا
ليس بايام حياتي ورقـــة
مخضرة

اما قصيدته «يوم وغد » فتوضح في غنائية عذبـــة وجميلة ما سبق ان حكى عنه في القصيدة السابقة ولعلنا نلمح فيها رؤيا الرومانسيين في عصرهم الذهبي القديـــم وهم يغنون اشجانهم وآلامهم في احباط كامل وهي بالضرورة تتعارض مع رومانسية الثورة في اصلها الاوروبي الحديث وهذه الاخيرة اسهمت في تأجيج نيران الثورة الفرنسيـــة نعود «الى يوم وغد» فنقرا :

يـــومي سالتك عن غـــــدي   واليـــاس ينضـــح .فمـــا يدي
وجهامة المـــأســـاة تلـــب   جاثي بـــوجه مربـــــد
هـــل فيه صـــدق للصديـــ   ـــق وفيـــه زهر لـــورد
ام ان فيــــه الشـــوك يـــد .   ميـــنى ويلوي مقصـــدي

يومي اجيـــنـــي انـــنـــي   قـــد عفـــت كـــل تجلد
ولقـــــد كرهـــت ترنحـــي   واقـــــد سئمـــت ترددي
كـــم هزني لفح الشجـــون   فقتـــلت مرحـــى عربـــدي
انـــا لم يعـــد لي من يقـــين   بعـــد حتـــى في الغـــد

يومـــي خرســـت عن الجـــواب   كـــأسي المتبــــــلد
انـــى بجيـــب اليوم عـــن   تـــال عـــان مجهـــــد
ضـــل الطريـــق ولم يجـــد   في الكـــون مهـــلة منـــوود
ولســـوف يوغـــل في متـــا   هـــة بليـــل اســـود

سوف نعثر على شعر اخر يغرد على نفس الربابـــة ويسمعنا نفس الانغام ، والالحان حتى نشعر بمزيد مـــن الاسى والحزن من اجل الشاعر ولكن في مرات قليلة يتمرد على كل هذا تمردا ايجابيا ليعبر برومانسية ثائرة عن ثقته في نفسه التي يجمع شتاتها وعن جدار العزلة الحمراء الذي ينقبه باظفاره وعن دروب الكيل التي يجرجر فيها احلامه وينشر فيها ازهاره ويهتف بعد حين طالبا منا او من الذين يوثقون خطاه ويصفدون جسده ويقيدون حركته ان يفكوا اساره لانه لحن يهيم على خلجات النسيـــم وهمسات الطير وتمتمات الربيع .

دعـــوني فانـــي لحـــن يهيـــم   وينـــثر آمـــاله الباليـــة
على خلجـــات النسيـــم العليـــل   عـــلى ربوة في الدمى نـــائية
على همســـة الطير عند الصبـــاح   على رجفـــة الـــورد النامية
على تمتمـــات الربيـــع المحـــول   يرتـــل الانشـــودة الساقية

هبـــوني انطـــلاقي عبر الزمان   وفكـــوا اســـار الخطى الوانية

ننتقل بعدئذ لنرى معالجته للقضية القومية . قضية فلسطين . وسوف نراه يفرد لها اكثر من ديوان مثـــل فلسطين وكبرياء الجرح ، ولن يضيع الغد ... وفي خلال مجموعاته الاخرى لا يفوته ان يعرف من اجل فلسطـــين والثورة ضد العدو ... وهو هنا لم يعالجها من روايـــة مريضة ومتشائمة ، بل عالجها بروح آملة ومتفائلـــة

وعازمة .. وان كانت التفاصيل القومية في معناها الاعمق غائبة عن قصيدة . قد يكون التعبير الشعري لديه مقتصرا على الرصد الخارجي للاحداث مغلفا بغيرةالحماس المرتفع والملتهب ، ولكنه يعبر بصورة معتدلة حين يسرح مع التاريخ الى اعماقه المزهرة اليانعة ، فيرى في «ظلال البوسفور » بقايا الفتوح وعلى كل ربوة هناك مسجد فيه من زخارف الفنون افانين ، ومناورات مضيئات يعلو فوقها نداء يسكر الروح ويعلو بها الجلال الطهور :

في الزوايا من الفتوح بقيات ولـ   ـن تطمس الفتوح قبور
وعلى كل ربوة مسجد رف   زهاه التهليل والتكبير
شاده ، اروع ، وزاد عليه   اروع صادق الجهاد غيور
فيه زخرف الفنون افانين   جلاها صناعها المشهود
قد تحدى القرون رونقه   الزاهي فبددت سناه الدهور
والنداء الذي به يسكر الروح   فيعلو بها الجلال الطهور

وينتقل من عمق التاريخ الحي الى الواقع الذي انهكته المحنة الاستعمارية الجانحة فيرفض هذا الواقع مهما بدت طلائع الشر تستكبر غضبة الباغين مهما عتت فالله ــ من سطوتها ــ اكبر :

لا تحسبوا ان رنين القيود   غير نذير تصليل السيوف
ستعرف الدنيا بانا اسود   نسترجع الحق برغم الحتوف

ويعتقد الشاعر ان للشعر رغم قلة انصاره دوره الحيوي والفعال في توجيه الواقع بل الحياة الانسانية جمعاء ، ومن ثم كان انشاده المستمر للواقع العربي لكي يسمو ويرتفع « واذن الشعر في ــ رايي ــ سيظل موصولا باسباب الحياة الانسانية شئنا او ابينا ، ولا يحرج الشعر او يضعف اتجاهاته ان يكون انصاره قليلون ما دام انه سيبقى ركيزة من ركائز الوجدان ، ومشعلا وضاء في ظلام هذا الوجود ص٨ مقدمة « بحيرة العطش » .

ولقد انصفه الواقع حقا يوم تحركت العروبة في العاشر من رمضان لتثأر لكرامتها الضائعة وشخصيتها المهانة وتمحو العار الذي لحقها من « يهود » . انه انصاف رائع لكل الشعراء الذين لم يستسلموا للاسى والحزن والتشاؤم، وليس الذين كرروا في قصيدهم كل الوان العجز والاحباط والعنة واصروا على اسطورة « سيزيف » وكان نتاجهم كله نواحا ليس الا . يقول الشاعر في تصديره لديوانه « لن يضيع الغد » .

« ومهما يكن من امر فان شعر هذا الديوان يصطبغ معظمه بصبغة تفاؤلية ينبغي ان تكون عتادا في ملحمة المصير القادمة » .

وهو لا يستسلم ببساطة لمجرد التفاؤل وانما يعرف ان الدنيا الحرة المعطاء لن تتوفر للعرب الا بالدم والجراح فيخاطب العروبة :

وسبيل النصر شوك ودم   نحن جزناه فلن نرهب نحسا
وحدي الصف قويا واجمعي   من بني عدنان للهيجاء شمسا
وارفعي الرايات يوم الملتقى   يتدانى والجراحات ستؤسى

وهو يصر اصرارا عنيدا على ان الفجر آت لا محالة، وان دم الحر لن يستباح وان الظلام سيعقبه ــ وان ظل طويلا ــ فجر العروبة العظيم .

فقول الطغاة الا فاعلموا   بان الفطاريف لا تهزم
وان دم الحر لن يستباح   وان آده المر والعلقم
وان الظلام وان ران حينا   سيعقبه فجرنا الاعظم
الي « القدس » مجترم نابح   ليخسأ فلن يهنا المجرم
سنشعلها حرب حريـة   لها في الدني مارج مرزم

ويستثير حماسة العرب ونخوتهم لتحرير القدس التي اصبحت مراحا مدنسا لليهود فيتساءل :

كيف تلقون ربكم وربي   القدس مراح مدنس ومقيل؟

ويتفاعل مع المقاومة الفلسطينية ويبدع قصيدة عصماء « فدائي العروبة » لينشدها تحية للفدائي الاول « محمود بكر حجازي » الذي اسرته يهود يوم تفجرت المقاومة في الارض المحتلة بداية انتصار ، وايذانا بالبعث:

وللاحرار اسلحة قصار   فكم يابون السنة طوالا
ا « محمود » وانت فتى المنايا   ومن جمعت له الدنيا احتمالا
« فلسطين » بمثلك سوف تبقى   لتشبع في معاركها قتالا

وعن دمشق يتحدث الشاعر متجاوبا مع كفاحها الشريف وبطولاتها وايمانها ، يحث اهلها على التصدي للعدا واذاه لان العروبة تساندهم والله في عونهم :

إن امطرتكم فلول الغدر نيرانا   فامطروها بطولات وايمانا
لا تألوا من ضراوات العدا فلهنا   جد وردوا الالى يرتد خزيانا
كل العروبة تهفو نحوكم ولكم   في الله عون وما الافواه معوانا

نستطيع بعدئذ ان نطلع على بعض الملامح المميزة لشعره فنراه بداية شاعرا رصينا يعتمد الصياغة الكلاسيكية الجيدة ، وكذا يمد يراعه ليتناول الشعر الحر او شعر التفعلية في غير تعصب كما يوضح في « تجربته الشعرية » . ولن نناقش هنا قضية الشكل لان الذي يعنينا هو ما يقدمه الشاعر من تجربة وابداع . ونرى هل اضافت تلك التجربة وذلك الابداع الى الفن الشعري جديدا ام لا ؟

من المؤكد ان الشاعر مر بتجربة انسانية كغيره من البشر ، وقد نجح الى حد كبير في التعبير عن هذه التجربة ابداعيا . على الاقل من ناحية الحديث عن الذات وعن الوطن .. وهذه اضافة لا بأس بها . لان الشاعر يملك قدرة تعبيرية جيدة اكتسبها بالممارسة والاحتكاك مع تجارب السابقين والمعاصرين من الادباء والشعراء فضلا عن الموروث بالطبيعة والسليقة كما اسلفنا في بداية الحديث.

وقد نلمح بعدئذ آثارا لشعراء آخرين يحبهم شاعرنا ويفتتن بهم مثل: ناجي وشوقي وغيرهما وقد نراه ايضا ينهج نهج القدماء في تركيب قصائدهم البانورامية « في ظلال البوسفور مثلا » وقد يؤكد على الوصف الخارجي للاشياء ، وقد يعطي لقصيدته مذاقا جاهليا بالجو الذي يصنعه او من خلال الالفاظ التي يستخدمها .. وقد استطعنا ان نرصد مثلا عددا من الالفاظ غير المطروقة في شعرنا المعاصر تماما : (ثبج ــ قرم ــ مين ــ الهوع ــ ساغب ــ اوام ــ اجهاض ــ لعان ــ صل، وبيل ــ عبشميا

البحر والليل

عم مساء ، ايها البحر ، فما ... غيب الخاطر شجو الذكريات
عدت ، هل تذكر خطوي ، مثلما ... اذكر الموج ، وعطر الامسيات
ليلة اللؤلؤ في الافق همى ... فانتشينا برحيق الاغنيات
وتناجينا ، فما يحدو فما ... وهوى يوقظ اشواق الحياة

كان عصف الريح يجتاح المدى ... وجنون الموج يلهو بالرمال
وعلى شطك، يا بحر ، غدا ... قلبي الولهان تياه الخيال
واذا الاحلام في ثغر الندى ... تنسل الشعر من السحر الحلال
رحمة ، يا بحر، هل ضاع الصدى ... ام ترى ترجع ايام الجمال

ذاكر ، يا بحر ، تبسكاب الهوى ... وحبيب النفس ، يا بحر، معي
كان صمت ، لو سمحنا ، لروى ... ما تهامسنا بتلك الاربع
لهفة الاشواق ، يا بحر النوى ... من نوى ، عبر الرياح الاربع
تنثر الاحباب ، لا تبقي سوى ... غصة خرساء بين الاضلع

ذاكرا ، يا بحر ، من مر هنا ... ينثر الدفء على الليل المطير
ذاكر ما كان بالامس لنا ... من نجاوى في شفاه الزمهرير
رحمة ، يا بحر ، بالحب ، بنا ... باختلاج البوح في صدر الاثير
انت ، ان تنس ، ففي بال الدنى ... لم تزل تخطر احلام العبير

فوزي عطوي

ـ مذال ـ جحاجحه ـ غطاريف ـ رئبال ـ مشمخر ـ الائمد) بالاضافة الى استخدامه قافية مهجورة مثل قافية الضاد والجيم والسين وكان البعض يعتقد في يوم ما وربما في هذه الايام ـ ان استخدام هذه الالفاظ وتلك القوافي انما يعبر عن ضلاعة في اللغة ، ومعرفة باسرارها ، وقدرة لا تتوفر للكثيرين . بيد انها في عصرنااضحت تشكل عقبة في فهم الشعر وتذوقه .

وللشاعر صوره اللطيفة والمبتكرة ونستطيع أن نعثر على بعضها في قصائده مؤدية تاثيرا ممتازا ورائعا خذ مثلا: زماننا الاشقر ـ مزرعة البوح ودن الشذا ـ ما عشت من نهر الرؤى استقى تصاميم قلبي الطري ـ ارجوحة الورد في مئزري ـ ارجوحة نهرها القضاء ـ كم قدمددت لقاتلي عنقا ـ ولكم زرعت لاحصد الحرقا ـ يا وهج التشهي في دمي ـ لي اشتعال النار في حقيبتي ، الحب يا صغيرة بحيرة من الظمأ ـ جدار العزلة الحمراء ـ اجرجر في دروب الليل احلامي وانثر فيه ازهاري .

ونعثر ايضا على قاموس يميز شاعرنا ويختص به ويمكن ان نتعرف عليه بالفاظ منها :

(الفراشة ـ الجنى ـ السحر ـ الترنح ـ الومضة ـ الجرح ـ الصحاري ـ الانين ـ خفافا ـ الظما ـ الترهات ـ الرزايا ـ الكروب ـ ملحمة ـ العليا ـ البهاليل ـ عربدات ـ كيد ـ الحس ـ الاشقر ...)

ولن ننسى ان الشاعر يجيد الموسيقى الخارجية بشكل قوي تماما ... الا اننا نفتقد الموسيقى الداخلية في بعض الاحيان ، ولعل مراحله الاخيرة قد عالجت هذا المآخذ ، خاصة في شعره الحر ، الذي كان يصر على تقفيته كما الشعر العمودي .

وبعد : فان الشاعر حسن عبد الله القرشي ، وجه مميز للشعر العربي في الجزيرة العربية ، واعتقد انه يعطينا الكثير مستقبلا خاصة في ميدان المسرحية الشعرية .

مرقص بحيرة ـ مصر ... حلمي محمد القاعود



بقلم عبد الحميد الانشاصي

(من الحكايــة)

كان الماء يتألق تحت اشعة الشمس الحارة قليلا . وكان الهواء ســاكنا والطبيعة صامتة . لم تكن هنــاك امواج تعلو ذلك السطح المتألق الذي لم يدخر تحته سوى مياه صالحة لا تصلح للشرب ولا للري . مياه تمر من بحر الى بحر دون ان تقوم بعملها من خدمة للناس . كانت ضفتا القناة خالية من الناس ومن الحيوانـات والطيور . لا شيء يدل على ان هناك حياة ، فقد كان الصمت مخيما في كل مكان ، والهدوء مستوليا على كل بقعة . اضحت قناة السويس كلوحة لرسام ماهر تمثل الموت اكمل تمثيل، بعد ان كانت تنبض بالحياة وهي تنقل الناس والبضائع من مكان ناء الى مكان مثله . كانت شريانا للحيـاة ، ثم اضحت عضوا من الطبيعة لا يقوم بوظيفته . ان ضفة القناة الغربيـة مفروسة بالخوف لان جوها يمطر قنابل ورصاصا على الاعداء . وضفتها الشرقية مفروسة بالهلاك والدمـار، فاذا وطئتها قدم انسان تحولت الى ما يشبه البركان . لا امن هنـاك ولا سلام على الرغم من ان مظهر القناة وضفتيها يدل على ان هناك امنـا وسلاما .

كل شيء مراقب في ذلك المكان . كل شيء تصوب اليـه الاسماع : صوت الانسان وصوت الحيوان وازيز الرصاص ودوي القنابل . ان الطبيعة نائمة هناك ، ولكن الانســان يقظ سهران . افواه المدافع والرشاشات مصوبة من ضفة الى ضفـة . اذا اقترب انسان من احدى الضفتين لا تنهره صيحة مرتفعة تصدر عن انسان بل تقفه رصاصة ملتهبة تنبعث من فوهة رشاش .

على الضفة الغربية رجال يتمنون ويسعون ان تعود القناة الى ما كانت عليه من قبل لكي تسهل السفر على الناس وتمكنهم من ان ينقلوا بضائعهم بسرعة وبنفقات قليلة . وعلى الضفة الشرقية رجال يحولون دون ذلك .

والغريب ان الذين يصيبهم الضرر من ذوي المصالح البعداء صامتـون لا يبدون حراكا ولا يرفعون صوتا كان الامر لا يعنيهم . انهم يتفرجون على ما يقع في ميدان الصـراع دون ان ينبسوا بكلمة واحدة . لا شـك ان هناك كثيرين من الناس يقولون في باطنهم : « افتحي ذراعيك للعالم ايتها القناة العزيزة ، واحتضني الى صدرك سفن الركاب والبضائع لكي يعم الخير جميع المحتاجين اليك » . ولكن عددا من الساسة يقـول : « اغلقي ذراعيك ايتها القناة حتى تتحقق آمالنا وننتفع باغلاقك » .

مضت بضع سنوات والصمـت والهدوء والخوف والموت تخيم على تلك البقعة من العالم دون ان تتغير فيها شيء . تغير الساسة الحاقدون وتغير رؤساء وزارات عديـدون . انعقدت مؤتمرات كثيرة واجتماعات عديدة ، ولكن تلك البقعة لم تزل كما هي : صامتة هادئة مخيفة مميتة .

من هؤلاء الاشخاص الذين يقتربون من ضفة القناة الغربية في النهار دون ان يفكروا في الخطر والموت ؟ من هؤلاء الرجال الذين يتجمعون هناك في صمت ؟ ماذا يريدون ان يفعلوا ؟ هناك همس واشـارات — همس فيه حزم وحدة ، واشـارات عصبية قوية . انهم يقتربون مــن القناة بخطى وئيدة . ولكن نظراتهم النارية سبقت خطاهم الى الضفـة الشرقية بسرعة غريبة تناقض بـطء خطواتهم . هناك حزم وعزم وقوة في تلك النظرات النارية . وهناك ثبات وتفكير في خطواتهم المتريثة . انـهم مسلحون . انهم جنود عرب مصريون يحملون بندقيات ورشاشات على اكتافهم ورصاصا في جيوب نطقهم . هذا العدد الضخم يقترب من القناة اول مرة . لا بد ان يقوم هؤلاء الرجال الصامتون بشيء عظيم . انهم يعرضون نفوسهم للموت والدمـار دون ان يفكروا في الموت والدمار . انهم مـا زالوا يقتربون ويقتربون . لا بـد ان يعكر جو المياه الان ، وتتحول ضفتا القناة الى شطرين من الجحيم .

(انشودة داخلية)

نحن رجال الوطن جئنـا لنـرد العدوان عن الوطن

الشمس تغمر بنـورها جباهنـا الملتهبة

والارادة تتفجر في قلوبنا الثائرة

نحن درع لابناء وطننا

وموت لجنود اعدائنا

حملتنا الجراة والاقدام الى ضفتنا

كما حملت اكتافنـا البندقيـات والرشاشات

نحن سائرون باتجاه الشرق لنحتل سينـاء

نحن اجزاء من الوطن كمـا ان الارض المغتصبة جزء منه

لا نسمح للغرباء ان يحولوا جزءا من وطننا الى وطن لهم

ابتهجي يا نفس فقد اقتربت ساعة القتال

وافرح يا قلب فقد دنت ساعـة شفاء الغليل

جئنا لنحرر الارض من اعدائنا

ونحرر الانسانية مـن النفـوس الساخطة الحاقدة

عيوننا تنظر الى منارة النصر

واقدامنا لا تبالي ان تخوض دماء القتـال

قصة

سنحول الهدوء الى حركة
والسكون الى صوت
والموت الى حياة
والظلم الى عدل
فقد قررنا ان نقاتل
حتى يتحول الظلم الى عدل

✶

(من الحكاية)

بدا الجنود يدخلون المياه في زوارقهم وعرباتهم المدرعة ، وهنا نطلق رصاص الاعداء من افواه الرشاشات نحو اولئك الجنود . ولكنهم ما زالوا يدخلون المياه. انهم يتقدمون في وجه عواصف الرصاص والنار . كانوا متجهين الى الضفة الشرقية في حزم واقدام انهم ماضون نحو هدفهم .

ها هي مدافع جنودنا البواسل تطلق القنابل من الغرب نحو الشرق، وها هي المضخات تجرف الرمال عن حصون الاعداء . كانت القنابل تدك الحصون الاسرائيلية دكا ، وتدمر المواقع المشرفة على المياه . ان المياه التي كانت خالية هادئة وهي تتالق تحت اشعة الشمس قد اضطربت وتالفت الامواج فيها حول العربات المدرعة والزوارق . لقد دبت الحياة في المياه ، واعتكر الجو ، ان عين الشمس الواسعة الملتهبة ترقب المعركة ، وعيون الجنود المتحمسة تنظر الى الشرق – الى تلال الرمال العالية ، الى جزء الوطن المغتصب. كان العربات والزوارق حيوانات بحرية غريبة تشق المياه في همة ونشاط ، انها تماسيح حربية فاتحة افواهها لتلتهم الظلم والقهر والموت .

لم يكن الاعداء يتوقعون ذلك الهجوم . انه هجوم مفاجىء جريء لا تجدي معه الحصون والرشاشات. ان الجنود العرب لم يثن عزمهم شيء . ها هم يقتربون من الضفة الشرقية في عزم وثبات . لم يكن هناك وقت للحديث والكلام . كان كل جندي مصوبا نظره الى الشرق وقلبه الى القتال . عربات كثيرة وزوارق عديدة كرصاص الاعداء . لقد صمموا ان يسجلوا مجدا يضيفونه الى امجاد امتهم – مجد استرداد الارض المغتصبة والتغلب على الاعداء .

انها المرة الاولى التي يدخل فيها اولئك الجنود الابطال القناة بهذا العدد الغفير وبهذه الجراة النادرة . لقد حولوا الماء الى بر فساروا عليه بعرباتهم وزوارقهم غير هيابين ولا مترددين . موقفهم ذاك يذكر بموقف طارق بن زياد قبل افتتاح الاندلس. لا بد من تنظيف القناة من الخوف والرعب والدمار لكي تفتح ذراعيها للسفن والمراكب . لا بد من القضاء على شر الاعداء ليتمكن العرب من جلب الخير الى العالم .

كان الجنود يتكاثرون ويزدادون عددا كانهم كانوا ينبعون من الضفة الغربية نبعا . استمدت شجاعتهم من الحماسة وقودا ، وعقولهم من الثقة قوة ، وقلوبهم من الاستهانة اقداما . ها هم يقتربون من الضفة الشرقية تحت وابل من رصاص الاعداء وستار من قنابل الضفة الغربية . بداوا يخرجون من العربات والزوارق . انها المرة الاولى التي يطاون باقدامهم فيها الضفة الشرقية بعد ست سنوات . لم يقفوا في امكنتهم مترددين بل ساروا في شجاعة واقدام غير حاسبين حسابا للالغام التي غرسها الاعداء في الضفة .

– اصمد ! احترس ، فان هنا الغاما تحت الرمال .

– وان يكن ؟ ساشق طريقا لي ولاخواني من الجنود بقدمي وجسمي.

– عظيم ! هذا ما ينبغي لنا ان نفعله لنمهد لغيرنا من الجنود . انني لست خائفا يا احمد ، ولكنني نصحتك بالاحتراس لكي نتمكن من ان نقوم بواجبنا ونؤدي مهمتنا .

– هذا صحيح . ان الاعمار بيد الله . انظر يا كامل الى رشدي كيف يسير بين الالغام في جراة عجيبة . انه لا يخشى الموت .

– رائع ! كاد ينتهي الى قمة التل الرملي .

– في يده علم – علم بلادنا .

– اجل ، في يده علم .

– مدهش ! لقد وصل الى اعلى التل .

– ها هو يغرس عمود العلم في الرمل .

واخذ الجنديان يضحكان ملء فيهيهما بعد ان هزتهما نشوة النصر.

– الحمد لله ! لقد انتصرنا .

– الان الضفة الشرقية اصبحت لنا . لقد استرددناها . دخلنا سيناء .

– لاول مرة يرفع علمنا على رمالها بعد انتظار ست سنوات .

وفجاة حدث دوي كبير . فالتفت كامل حوله فراى اشلاء زميله احمد تتطاير في الهواء ، فادار وجهه الى ناحية وقد ظلل عينيه حزنا واسى . لقد كان احمد صديقا وفيا له . لذلك حزن عليه حزنا شديدا . ان ما آلمه ان يرى صديقه يموت ويتلاشى عن عينيه في الهواء بعد ان كان منذ لحظات قصار يحادثه ويشاركه في ضحكة الانتصار . انه يعلم ان الجندي ينبغي له الا يبالي بالموت وان يستهين بالموت لان الاستشهاد في سبيل الوطن مفخرة من مفاخر الوطنية والقومية . ولكنه لم يستطع ان يتمالك عن التاثر بموت صديقه ، فجرت الدموع من عينيه غزارا ، وبعد قليل استرد تفاؤله وواصل السير على الضفة بين الالغام . وانه لكذلك اذ سمع الجندي الذي غرس العلم في الرمال ينادي في فرح وابتسام : « النصر لنا ! النصر لنا ! » فرفع كامل وجهه الى اعلى ، فوقع نظره على الجندي الباسل وهو واقف بجانب العلم يتمايل فرحا وزهوا ويشير بيده الى اخوانه الجنود . فزالت الكآبة عن وجه كامل ، وصعد التل الذي امامه مبتسما مبتهجا .

(انشودة داخلية)

ها انا اسير بين الالغام بلا خوف
لقد جئت لاقاتل الأعداء ، فما الخوف من الاعداء ؟
فجر صديقي الالغام بجسمه ليفتح طريقا لغيره
وانا ايضا اشق طريقا اخرى لغيري ليات الموت ، فقد اعتزمت ان

اموت شهيدا
لقد غرستم ايها الاعداء الالغام في ارضنا
ونحن غرسنا الشجاعة والعزيمة في قلوبنا
ان الالغام تتفجر فتزول
ولكن الشجاعة والعزيمة باقيتان في قلوبنا
انتم تطمعون في سلب ارضنا
ونحن نطمح الى استرداد ارضنا والاحتفاظ بها
ان في السلب ظلما واعتداء وبغضا
وان في الاحتفاظ عدلا وامانة وحبا
سأنتقم لك يا احمد ممن ابعدوك عني
ان المعركة قادمة وساخوضها في عزم
وان مت فالموت مصير كل حي
انا اشعر بأن القوة التي تضاعفت الان
لانها مؤلفة من قوتي وقوة الصداقة التي بيننا
مؤلفة من شوقي الى القتال ومن ثورتي للانتقام لك
لقد مت يا احمد مقاتلا
قاتلت اللئام العدو وقبل ان تقاتل العدو
ها قد انتصرنا يا احمد
ان علمنا يرفرف على ارضنا التي استرددناها
ترى هل روحك ترفرف مع ذلك العلم ؟
ترى هل وقع شلو من اشلائك المتطايرة على مقربة من العلم ؟
لقد مت فبكيتك
ولكننا انتصرنا فابتسمت
وها انا ابتسم لي ولك
فان همي وهمك ان ننتصر

★

(من الحكاية)

اخذ الجنود العرب يتدفقون من الضفة الغربية كالسيل . انهم لا ينتقلون على الماء في العربات المدرعة والزوارق بل على جسور ركبت وامتدت من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية . جسور يتلو بعضها بعضا . انها المرة الاولى التي ركبت فيها جسور لنقل الجنود عبر القناة. كانت تجربة موفقة ناجحة . سار عليها الجنود ومدرعاتهم ودباباتهم ومدافعهم نحو الضفة الشرقية .

وبعد قليل قدمت طائرات العدو . جاءت لتلقي قنابلها على الجنود البواسل وعلى الجسور . ولكن الطائرات العربية المصرية هبت لمقاومتها . وكانت معركة حامية الوطيس على مياه القناة وفي الجو . لم تتمكن طائرات العدو من نسف الجسور ، فظلت الجسور منتصبة على وجه الماء كأشرطة انتصار تزين عضد جندي باسل . كان الجنود يسيرون على تلك الجسور وظلالهم تسير على الماء . وكانوا يمضون في قوة في اتجاه الشرق لكي يقفوا على التلال الرملية التي وقف عليها زملاؤهم وهم يلوحون بايديهم في فرح وابتهاج . لقد اخرست رشاشات العدو التي كانت تطلق رصاصها على الجنود ، وفرت طائرات العدو دون ان تصيب اهدافها . وبذلك خلت الضفة الشرقية من المقاومة .

تجمع الجنود الابطال فوق التلال الرملية ينصبون عليها الاعلام ويقفزون على الرمال في غبطة وفرح. وراح بعضهم يأخذون ملء اكفهم من الرمال ويقبلونها في شوق وراحة . وجعل بعضهم يتقلبون على الرمال فرحين كالاطفال. وقفوا جماعات على التلال يطلون على القناة ويهنيء بعضهم بعضا . كانوا منذ ساعات قلائل يتهيأون على الضفة الغربية للانتقال الى الضفة الشرقية . وها هم يصلون الى هدفهم ويحققون آمالهم .

وبعد ذلك جاء احد الجنود وقال بصوت مرتفع :

— تعالوا يا اخوان لنتفرج على مواقع العدو في خط بارليف . ان الواحد منها شبيه ببلدة صغيرة فيها كل ألوان المتعة والراحة والدفاع. فيه سينما وتلفزيون وراديو ومسجل ولاسلكي وثلاجات واطعمة وفواكه .

فقال احدهم :

— لقد وضعوا كل شيء في مواقعهم الحصينة .

— لقد كانوا مرفهين فيها .

— هل بقي منهم احد هناك ؟

— كلا ، منهم من قتل ، ومنهم من استسلم .

— بديع !

— تعالوا لاريكم داخل تلك المواقع.

وسار الجنود مسرعين نحو المواقع الحصينة ليطلعوا على داخلها.

(انشودة داخلية)

ها قد دخلنا حصونكم ومواقعكم المنيعة واستولينا على خط بارليف
لقد انشأتم بيننا وبينكم حاجزا صفيقا
وتوهمتم ان ذلك الحاجز يفصل بعض ارضنا عن بعض
ان العزيمة امنع موقع يمكن الانسان ان يتحصن فيه
ان خط بارليف كلفكم ملايين من الدولارات
ولكن عزيمتنا لم تكلفنا الا جهدا نفسيا
ان الارادة هي اقدم واحدث ما ابتكر من اسلحة
من امتلكها امتلك العالم
لا شيء يقف امام الارادة
كل الخطوط المنيعة تزول ازاءها
وكل القوى البشرية تفر امامها
بالارادة استطعنا ان نركب جسورا على الماء
وان نهاجم حصونكم ونحن غير محصنين
انا نسير الان على الرمال مبتهجين
ونحن ننشد نشيد الانتصار ،
ونغني نجاحنا
فقد تحققت آمالنا
لقد اقمنا برهانا لكم على اننا اقوياء يمكننا ان نقهر قوتكم التي ادعيتم انها لا تقهر
وان لنا ارادة تفل الحديد وتحطم الطائرات والدبابات
وان خطكم لا يحميكم ولا يفصلكم عنا

عمان - الاردن   عبدالحميد الانشاصي